



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر

الوسيط موسومة بـ:

النشاط الحرفي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط

بإشراف:

د. طويلب عبد القادر

إعداد الطلبة:

➤ بلعربي أسامة

➤ رايح جيلالي

➤ حموم ابراهيم

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
علي محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	ابن خلدون - تيارت
طويلب عبد القادر	أستاذ محاضر - أ -	مشرفا ومقررا	ابن خلدون - تيارت
كوريب عبد الرحمان	أستاذ محاضر - أ -	عضوا مناقشا	ابن خلدون - تيارت

الموسم الجامعي: 1443/1444هـ - 2022/2023م

شكر وتقدير

بعد الشكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا على إتمام هذه المذكرة، أرى أن إلزاما علينا أن نتقدم

بالشكر إلى منارة العلم والمعرفة، إلى الأستاذ لإشرافه على هذه المذكرة ولتوجيهاته المفيدة

وملاحظاته القيمة، التي ساعدتنا على إتمام هذه الأخيرة.

كما نتقد بخالص الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء الهيئة التدريسية بالجامعة لما قدموه لنا من

معرفة وعلم.

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على تكريمهم بقبول مناقشة هذه

المذكرة وإبرازها بالشكل العلمي المناسب.





إهداء

أهدي هذا العمل إلى مثال الحب والتضحية، إلى القلب الحنون التي قال

فيها سيد الخلق أن الجنة تحت قدميها

إليك أمي.

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، وإلى من علمني أن الحياة جهد وأن القناعة زاد إلى "أبي

العزير"

إلى إخوتي وأخواتي (أحمد - محمد - لطيفة - علاء الدين - سارة - سهام) وبنات إخوتي

الأعزاء فردوس رؤية أميمة تسنيم وإيلاف

إلى كل زملاء الدراسة وأخص بالذكر من كانت معهم الرفقة طيلة السنوات الأخيرة.

وإلى زملاء التخصص في الماجستير.

أسامة



إهداء

أهدي خلاصة جهدي إلى روح أبي الطاهرة

إلى أمي الغالية

ولكل إخوتي وأخواتي وجميع أبناءهم

إلى أقاربي وأصدقائي

إلى كل من علمني حرفا

إلى كل طالب علم محب العلم ومجد ومثابر

إلى كل محب يحمل ذرة محبة

جيلالي



إهداء

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بنعمته وأكرمنا بفضله وعطائه وبعد:

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي الطريق إلى العلم أبي الحبيب.

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز وبلسم الشفاء والأمان إلى القلب الطاهر الناصح أمي الحبيبة.

إلى كل من أكن لهم الحب والتقدير.

وإلى كل أحبتي وعائلي وأقاربي وكل من ساعدني ولو بكلمة طيبة.

ابراهيم

قائمة المختصرات:

دون دار النشر	د.د
دون تاريخ النشر	د.ت
دون مكان النشر	د.م
دون طبعة	د.ط
توفي سنة	ت السنة
تحقيق	تح
ترجمة	تر
صفحة	ص
جزء	ج
مجلد	مج
طبعة	ط
السنة الهجرية	السنة هـ
السنة الميلادية	السنة م

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الحرف مظهراً من مظاهر الحضارة، وترتبط بالحياة اليومية لأي مجتمع منذ العصور البدائية، فلا بد على الإنسان أن يفكر ويطور من ذاته وذلك بسعيه لاكتساب حرفة أو صنعة يستطيع من خلالها تدبير أموره وأمور أسرته في تلبية الحاجات الضرورية لحياته اليومية من مأكّل ومشرب وملبس، كما تشكل الحرف أهم مقومات الشعوب، لأنّها المرآة العاكسة التي تعبر عن هويتها وثقافتها وأصالتها، وانبثقت الحرف والصناعات من البيئة المحلية لتشمل بيئات أخرى، ثم تحولت هذه الصناعات البسيطة إلى منتجات حرفية ازدهرت وانتشرت لتظهر الصناعات التي استعملت فيها مختلف الأدوات التي تطورت مع تطور الحضارات الإنسانية، بدءاً من حرف بسيطة متمثلة في الرعي والزراعة بأدوات بدائية وصولاً إلى أدوات متطورة خففت عليهم بعض من التعب خاصة في المجال الزراعي وصولاً إلى صناعات أخرى تتوزع عبر مختلف الحواضر.

كانت الدولة الزيانية غنية بالموارد الطبيعية المتنوعة والمختلفة ما بين زراعية وحيوانية وباطنية، ساعدت في ازدهار الحرف وانتشارها عبر الحواضر في المغرب الأوسط، هذا بالإضافة إلى بعض العوامل البشرية التي كان لها الأثر الكبير في التطور الإقتصادي والمساهمة في تطور النشاط الحرفي، كل هذه الظروف مكنت من ظهور نشاط حرفي متنوع ظهر في المدن، وهذا ما ساعد كذلك على ظهور نشاط تجاري تمثل في تطور الحركة التجارية وظهور العديد من الأسواق التي ساعدت في تعدد الإنتاج الحرفي وتنوعه، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في موضوعنا النشاط الحرفي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط عصر الدولة الزيانية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة موضوع النشاط الحرفي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط في إبراز أهمية النشاط الحرفي على مجتمع المغرب الأوسط في مختلف المجالات، إضافة إلى إبراز أهم الحرف والصناعات المنتشرة في الدولة الزيانية، ومختلف التنظيمات التي تخص هذا النشاط، ومن خلاله يمكن التعرف على حياة الإنسان في المغرب الأوسط في عصر الدولة الزيانية.

أسباب إختيار موضوع الدراسة:

تتلخص أهم الأسباب والمبررات التي دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع فيما يلي:

محاولة الكشف عن حرف وصناعات المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية، كون أنه عند قول الدولة الزيانية نقول تلمسان، وكل ما يتعلق ببلدنا الحبيب يهمنا معرفته واكتشافه، وكذا الوقوف على أهميتها ودورها في تنامي بلاد المغرب الأوسط، فهي جانب مهم من التاريخ الإجتماعي والإقتصادي للبلاد.

ويتمثل السبب الآخر في نقص الدراسات الأكاديمية حول النشاط الحرفي في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، وذلك على غرار الدراسات السابقة التي تناولت الحرف والحرفيون في مختلف الفترات الزمنية.

الدراسات السابقة:

عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، مقارنة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001م، تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور النشاط الحرفي والتجاري بمجتمع مدينة الجزائر من جهة وعلى الأوضاع المادية لشريحة الحرفيين من جهة أخرى، وفي هذا الصدد جملة من الأسئلة تطرح نفسها من بينها: ماهي ملامح التنظيم الحرفي؟ ما طبيعة العلاقة بين السلطة والتنظيمات الحرفية؟ وماهي الحرف التي منحت الرفاه وفرص الإرتقاء الاجتماعي؟ وتوصل إلى جملة من النتائج أهمها أن مدينة الجزائر اشتملت على أغلب ما تحتاج إليه من منتوجات وخدمات مختلفة، وأتاحت هذه الدراسة التوصل إلى أن مبدأ توريث الحرفة في الأسرة الواحدة لم يكن

ثابتا بل تميزت الإختيارات الحرفية في الأسرة الواحدة بنزعتين بارزتين أولهما الحرفة أو الصنعة تكاد تكون متوارثة في كل الأسر الحرفية التي تولت أمانة الصنعة.

وأیضا من الدراسات السابقة نجد رسالة ماجستير في التاريخ، للخضر العربي، الحرف في تلمسان على العهد الزياني، جامعة معسكر، الجزائر، 2001م، والتي تحدثت عن مختلف الحرف والصنائع في تلمسان الزيانية، وقدمت لنا تفصيل دقيق عن تعلم الحرفة من التحاق التلميذ المبتدئ إلى ورشات العمل، أيضا لم تكن الحرف حكرا على الرجال بل شملت أيضا النسوة في المجتمع الزياني.

إشكالية الدراسة:

أما عن الإشكالية التي قمنا بمعالجتها نطرح السؤال الجوهری التالي:

ماهية النشاط الحرفي في المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية؟

وفي هذا الصدد جملة من الأسئلة تطرح نفسها:

كيف كانت أوضاع الدولة الزيانية؟ وكيف كان النشاط الحرفي فيها؟ وما آثارها؟

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي؟.

هيكل الدراسة:

بغية الإحاطة بكل جوانب إشكالية الدراسة وما تم طرحه من أسئلة، وبغية التأكد من تحقق أو عدم

تحقق الفرضيات، تمت هيكلة الدراسة على نحو تقسيمها إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جاء بعنوان: نبذة تاريخية عن قيام الدولة الزيانية.

بحيث قسم الفصل الى ثلاث مباحث:

المبحث الأول يتحدث عن الأوضاع السياسية للدولة الزيانية مؤسسها ونظام الحكم فيها والمراحل

التاريخية لها.

المبحث الثاني يتحدث عن الأوضاع الاقتصادية للدولة الزيانية.

المبحث الثالث يتحدث عن الأوضاع الإجتماعية للدولة الزيانية.

الفصل الثاني: جاء بعنوان: النشاط الحرفي في الدولة الزيانية بحيث قسم الفصل الى أربع مباحث:

المبحث الأول يتحدث عن ماهية النشاط الحرفي من خلال تعريف الحرفة والصناعة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني يتحدث عن مقومات النشاط الحرفي خلال العصر الوسيط مقومات طبيعية و بشرية.

المبحث الثالث يتحدث عن الحرف والصنائع في المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

المبحث الرابع يتحدث عن التنظيمات الحرفية ونظم حكم النشاط الحرفي في المغرب الأوسط.

الفصل الثالث: جاء بعنوان: تأثير الحرف على مختلف المجالات (السياسية، الإقتصادية، الاجتماعية، العمرانية)

بحيث قسم الفصل الى أربع مباحث:

المبحث الأول يتحدث عن التأثيرات السياسية من خلال المعاهدات والإتفاقيات التي ربطت

الدولة الزيانية بدول الجوار والممالك النصرانية.

المبحث الثاني يتحدث عن التأثيرات الاقتصادية من خلال الدور المالي للحرف والصنائع

والدور التجاري والأسواق.

المبحث الثالث يتحدث عن التأثيرات الاجتماعية العلم والسكن والملبس.

أما المبحث الرابع فيتحدث عن التأثيرات العمرانية من خلال دور الصناع والحرفيين في جمالية

العمران الزياني.

صعوبات الدراسة:

من المعروف أن كل باحث تعترضه صعوبات وعراقيل خلال إنجاز بحثه، سواء كانت متعلقة بالبحث

بحد ذاته، أو الظروف المحيطة بالباحث، ونلخصها كما يأتي:

● فقر المكتبة الجامعية بجامعة تيارت من الكتب التي تتحدث عن الموضوع بصفة عامة والدولة الزيانية

بصفة خاصة.

● صعوبة التوسيع والتحليل في هذا الموضوع وهي الدراسة من خلال المصادر، فهي تعتبر من الدراسات الجديدة علينا، ولم ن تعمق فيها كثيرا وذلك لظروف معينة.

كون أن هذا الموضوع تطرقت إليه دراسات قليلة جدا مقارنة بالمواضيع التاريخية الأخرى، ومنه قلة المراجع المتخصصة خاصة التي تطرقنا إليها في الفصل الثالث، إضافة إلى ذلك صعوبة الوصول إلى هذه المراجع مما يحتم بذل جهد مضاعف لاستكمال هذا البحث.

التعريف بالمصادر والمراجع:

أما في ما يخص عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في رسالتنا نذكر:

المصادر:

كتاب تاريخ "بني زيان ملوك "تلمسان" وهو مقتطف من كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف ملوك بني زيان وذكر ملوك الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيها مضى من الزمان" لمحمد بن عبد الله التنسي (899هـ/ 1493م)، الذي حققه محمود بوعيداد ويفيد هذا المصدر خصوصا في معلوماته العامة من تاريخ دولة بني زيان وذلك من قيامها حتى آخر سلطان عاصره المؤلف.

وكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الأكبر" لعبد الرحمن ابن خلدون حيث تضمن الحديث عن الصنائع.

وكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم التلمساني (ت 1014 م) الذي يحمل معلومات لأسماء بعض الحرف والحرفيين.

كتاب "إفريقيا" لمارمول كارباخال الذي يشبه كتاب الوزان وتناول المناطق الجغرافية كما قدم وصف دقيق للحيوانات.

المراجع:

بالنسبة للمراجع نذكر كتاب "تلمسان في عهد الزياني لعبد العزيز فيلالي" الذي ساهم في اثناء موضوعنا وتدعيمه بكل ما يحتاج من معلومات وكتاب حساني مختار تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية زيادة على الكتب إعتدنا على بعض الرسائل الجامعية من بينها رسالة ماجستير هوارية بكاي "العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا"، وأيضا أطروحة رزيوي زينب "العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-8هـ/ 13-15)، وغيرها من الرسائل المتعددة التي ساهمت في تدعيم موضوعنا وزادت من توسيع المحتوى.

الفصل الأول:

نبذة تاريخية عن قيام الدولة الزيانية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية للدولة الزيانية.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للدولة الزيانية.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية للدولة الزيانية.

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن قيام الدولة الزيانية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية للدولة الزيانية :

تعد بلاد المغرب الأوسط من المناطق التي لعبت دورا بارزا في الساحة السياسية في العصور الوسطى، حيث شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فقط أحداثا سياسية هائلة، أثرت بشكل مباشر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المغرب الأوسط، حيث اختلفت فيها الموازين بين القوة والضعف، بين الإزدهار والركود، وقد شهدت فترة قيام الدولة الزيانية تسارع الأحداث السياسية والتطورات الثقافية والاقتصادية، حيث لعب العامل الجغرافي والسياسي الدور الرئيسي في عكس حصيلة الأحداث، أي عرفت بلاد المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية في العصر الوسيط تغيرات وتقلبات سياسية كان لها الأثر في تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

1. التعريف بالدولة:

أ. الإطار الجغرافي:

أدرج بعض المؤرخين النطاق الجغرافي لبلاد المغرب الذي يبدأ من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى بلاد السودان جنوبا⁽¹⁾، وقد قسمت بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة وهي المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى⁽²⁾.

فالمغرب الأوسط كان يتوسط المغربين الأدنى والأقصى وهو في الأغلب ديار زناتة كما يقول ابن خلدون وقاعدته تلمسان⁽³⁾، قيل بأن تلمسان دار مملكة زناتة⁽⁴⁾، وتلمسان وما حولها إقليم فسيح من أوفر أقاليم المغرب بالخيرات ووسائل الرخاء، فهي منطقة سهول وهضاب كثيرة الوديان وافرة الأمطار في الشتاء، وهي تؤدي إلى ممر

¹ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة 2004، ص24.

² عبد الرؤوف عصام، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نضرة الشرق، القاهرة، 1990، ص12.

³ خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ \ 675 م - 1235 م)، ط1، دار الألفية، الجزائر، 2011، ص210.

⁴ غرداوي نور الدين، التحديات الأمنية للمغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633-962هـ)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جويلية 2019، ص54.

تازة وهو المدخل إلى المغرب الأقصى⁽¹⁾، كما وصفها أيضا أحد المؤرخين " أنها مدينة مشهورة، مسورة في سفح جبل، ولها ثلاث عشر بابا وبقعتها شريفة كثيرة المرافق لها حصون عديدة أشهرها: هنين ووهران حصينة وهي على ثمانين ميلا من تلمسان، وفي غربي تلمسان بالإتحراف إلى جنوب مدينة فاس"⁽²⁾.

أخذت الدولة الزيانية موقعا حصينا، كثيرا ما وقاها شر الغزاة وحال بينهم وبين إحتلالها، كانت تتوسط كل من الدولة الحفصية والمرينية، وصفها ابن فضل الله العمري بأنها "مملكة كبيرة وسلطة جلييلة وهي واسعة المدى كثيرة الخيرات ذات حاضرة وبادية وبر وبحر"⁽³⁾.

ب. نسب وتأسيس الدولة الزيانية:

ينتمي بنو زيان إلى بني عبد الواد أحد فروع قبيلة زناتة الكبيرة، كانوا قد استقروا بالمنطقة الغربية للجزائر⁽⁴⁾ حاليا حيث تمتد مواطنهم من تيهرت إلى نهر ملوية⁽⁵⁾، وكان بنو عبد الواد من القبائل الرحل وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة إحدى أكبر وأشهر القبائل البربرية ببلاد المغرب⁽⁶⁾، وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم الأكبر عابد الوادي⁽⁷⁾، كانوا يجوبون صحراء المغرب الأوسط بمواشيهم ولا يزالوا على ذلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط، فكانوا سباقين إلى طاعتهم، وصاروا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم⁽⁸⁾، فمنحهم الموحدون جزاء إخلاصهم ضواحي المغرب الأوسط وبلاد زناتة، فترك بنو عبد الواد الصحراء واستقروا في التل، فقويت عصبيتهم واستغلوا فرصة اضطراب الدولة الموحدية أواخر عهدها وسعوا للسيطرة على تلمسان، واستقل جابر بن يوسف بحكمها عام 627هـ/1229م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت نشأة دولة بني زيان، وأصبح بنو عبد الواد الزيانيين سادة على تلمسان وضواحيها⁽⁹⁾.

- 1 - إسماعيل ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، تح: هاني سلامة، بورسعيد-الظاهر، 2001، ص10.
- 2 - البروسوي محمد بن علي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط1، تر: المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، 2006، ص253.
- 3 - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج7، دار الكتب العلمية، تونس، 2001، ص211.
- 4 - نفسه، ص14.
- 5 - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، الجزائر، 2005، ص96.
- 6 - الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تر: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، وهران، 1900، ج1، ص13.
- 7 - هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2018، ص7.
- 8 - قدور منصورية، الإسهامات الحضارية لعلماء تلمسان حاضرة بني زيان علماء أسرة ابن عبد النور نموذجًا، مجلة مجتمع تربية العمل، المجلد7، العدد1، 2022، ص63.
- 9 - قدور منصورية، المرجع السابق، ص63.

يقول عبد الرحمان ابن خلدون عن تلمسان في كتابه تاريخ ابن خلدون مايلي: (1) "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع الصروح بها بالأجر والفهر تعلى وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دار مملكتهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واعترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية، والله وارث الأرض ومن عليها".

ج. مؤسس الدولة الزيانية:

مؤسس الدولة الزيانية هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي(2)، كان ذا شخصية طموحة وعزيمة قوية وإرادة صلبة في إدارة وتسيير العهد الزياني وتعامله مع خصومه خاصة بني مرين التي كانت بينه وبينهم حروب شديدة(3)، فلما بويع أمير المسلمين يغمراسن بن زيان ، أوضح للخلافة الحسنية الآثار، ورفع لمن ضل عن سبيل هداها أعلى منار، فابتهج الدهر بوجوده، وأشرق من فلك اليمن نجم سعوده، وأخضر للملك ما كان قد ذبل من عوده ، وأنجز الزمان للبيت النبوي ما كان يكثر التسوييف به من موعوده ، فظهرت به أجرة الخلافة في بيته ، واستعمل ما يورث الملك كاملا وجمالا في هديه وسمته فانتخب الوزراء والحجاب، وانتقى القواد، والكتاب، ونازعه بنو مطهر وبنو راشد، فأظهره الله على الجميع(4).

ومن الجهود التي قام بها يغمراسن في بناء الإمارة توسيع إمارته من ناحية شلف، إصطدم بمغراوة التي استنجدت بالأمير زكرياء يحي الحفصي، ونهض هذا الأخير بجيوشه إلى تلمسان فاحتلها سنة (29 محرم 640هـ) (5) ، ثم عقد صلحا مع يغمراسن، ينص على إقامة الخطبة له، دون الرشيد الموحد، الذي سبق أن بعث الرشيد

1 - بن ساحة عبد الله، تاريخ تلمسان الثقافي من خلال علماء وشعراء الفترة الزيانية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، المجلد 05، العدد 1، يناير 2022، ص 347.

2 - إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 68.

3 - غرداوي نور الدين، الإستراتيجية العسكرية لعنمان بن يغمراسن بن زيان في مواجهة الخطر المريني (المغربي) (681-703\1282-1303م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثاني، العدد الرابع، جويلية 2020، ص 70.

4 - محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي، تح: محمود أغا بوعبيد، (د ط)، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 115.

5 - لطيفة بشاري بن عميرة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان، تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن (7-10\13-16م)، أفكار وآفاق، العدد 03، جانفي 2012، ص 61.

أبا محمد بن واندين لحرب ضد المرينيين وعقد له على مكناسة وأحجف على أهلها⁽¹⁾، وبذلك رد الرشيد بالزحف على المغرب الأوسط لكن يغمراسن هزمه جنوب وجدة في 10 صفر 646هـ/1248م⁽²⁾.

ومن هنا بدأت دولة بنو عبد الواد تشكل قوة يعتد بها في الغرب وأصبحت تطمح إلى الإستيلاء على المغرب الأوسط كله، وعلى الناحية الشرقية من المغرب الأقصى مما يلي نهر ملوية فكان عهد يغمراسن بعد ذلك متوجها نحو تحقيق هذه السياسة⁽³⁾، فخاض الأمير يغمراسن غمار كثير من الحروب ضد بني مرين وأحلافهم من العرب غربا وضد بني توجين وأولاد مندليل شرقا، وإذا كانت جهود يغمراسن هذه لم تكلل بانتصارات باهرة، فإنها تمخضت عنها اتساع رقعة إمارته على حساب الإمارات المجاورة وسمحت بالصمود أمام هجمات بني مرين وإبعاد خطرهم عن المغرب الأوسط⁽⁴⁾.

نستنتج مما سبق أن حدود الدولة الزيانية لم تكن واضحة ومستقرة المعالم بسبب الظروف السياسية التي كانت تتعرض لها لأن طبيعة العلاقة السياسية آنذاك كانت تخضع لمستوى الدولة وقدرتها على حماية حدودها وذلك حسب قوة السلاطين وضعفهم مما أدى إلى تذبذب حدود الدولة الزيانية، وتعتبر تلمسان عاصمة الدولة الزيانية.

2. المراحل التاريخية للدولة الزيانية:

لقد مر المغرب الأوسط بالعديد من المحطات التاريخية بداية من الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط دولة الموحيدين وظهور الدولة الزيانية، إذ تعتبر الدولة الزيانية من أهم الدويلات التي قامت في بلاد المغرب الأوسط والتي كانت عاصمتها مدينة تلمسان، واجهت الدولة الزيانية مجموعة من الأخطار وعلى مستويات عدة، فكان لموقعها الجغرافي الواقع بين دولتين كبيرتين الحفصية والمرينية، بحيث دخلت هذه الدول في صراعات حادة سعيًا وراء توسيع حدودها، حيث أرادت كل واحدة منهم الإستيلاء على الإرث السياسي والحضاري لدولة الموحيدين.

وقد مرت الدولة الزيانية بعدة مراحل تاريخية من النشأة إلى السقوط وتتمثل هذه المراحل في:

- 1 - عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 7، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2000، ص 171.
- 2 - نفسه، ص 171.
- 3 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، (دط)، دار موفم، الجزائر، 2002، ص 13.
- 4 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 13.

أ. مرحلة النشأة:

تمتد من (633-706هـ/1235-1306م) تناوب على الحكم فيها ثلاثة سلاطين، أولهم يغمراسن بن زيان (681-633هـ/1235-1282م) مؤسس الدولة ومنظم شؤونها⁽¹⁾، عمل على إخضاع القبائل العربية والبربرية كما قام بإخضاع مدن من المغرب الأوسط، كمدينة وهران، ومدينة سجلماسة سنة (662هـ/1263م) ومدينة مليانة سنة (668هـ/1268م)، ومدينة تنس سنة (681هـ/1282م)⁽²⁾.

تميز يغمراسن خلال فترة حكمه بالذكاء والجرأة والمهارة، وكان أحسن الناس تدييرا وسياسة بتنظيم قواته العسكرية و العمل على تحسين شؤونها، مما جعل دولته من أقوى دول المغرب، و أكسبه مكانة رفيعة بين قومه، يقول عبد الرحمن ابن خلدون في هذا الصدد: " واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح واستلحق العساكر، وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب وبعث في الأعمال ولبس شارة الملك، واقتعد الكرسي ومحا آثار الدولة المرينية"⁽³⁾، وإلى جانب إعماده في وضع أركان دولته على قبيلة بني عبد الواد فإن يغمراسن بن زيان إستعان أيضا ببعض القبائل المغربية والعربية التي تحالفت معه سيما منها التي كانت تقيم بالمغرب الأوسط إذ كان لها دورا كبيرا في ترسيخ أقدام دولة بنو عبد الواد وتوسيع رقعتها وإستمرار هيتها وإستقرار أوضاعها السياسية والإقتصادية وحتى في سقوطها⁽⁴⁾.

إلا أن منشأ الصراع في عهد يغمراسن تمثل في الخلاف بين بني مرين وبني عبد الواد قديم ، ناشئ عن التنافس الشديد بينهما حول بسط نفوذهما على أكبر مساحة من المغرب باعتبار أحقية كل واحدة منهما في وراثة الموحدين، إضافة إلى الجوار في الملك والمنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة⁽⁵⁾، مما حول هذه المنافسة إلى صراع سياسي وعسكري دام سنين طويلة، غذته تلك الضغائن والرغبة اللامتناهية في تحقيق الريادة وبسط النفوذ⁽⁶⁾، ومع التفوق المريني عدة وعددا في كل مرة خاضوا فيها الحرب، كانت الغلبة لصالح بني مرين، فألحقت ببني زيان هزيمة ثقيلة قتل فيها الأمير أبو حفص عمر كبير أبناء يغمراسن وولي عهده، بالإضافة إلى نفر من أكبر رجال بني زيان

1 - يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، (د ط)، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985، ص 64.

2 - الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج 2، ص 20.

3 - عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 7، ص 79.

4 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 19.

5 - مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2، (د ط)، (د د)، الجزائر، 1986، ص 422.

6 - هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، المرجع السابق ، ص 190.

ووجهاء عشيرته أمثال : ابن عبد الملك بن حنيفة، وابن يحيى بن مكتن ، وعمر بن إبراهيم بن هشام⁽¹⁾، فبعد توالي الهزائم على يغمراسن على يد بني مرين تيقن يغمراسن أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال مجابتهم، لعدم تكافؤ القوى بينهما، وتلاقيا لتكرار المأساة مع ولده عثمان، أوصاه بمسألة المرينيين وعدم الإعتداء عليهم على أراضيهم والتوسع نحو الشرق على حساب ملك الحفصيين⁽²⁾.

وبعد وفاة يغمراسن خلفه ابنه السلطان عثمان (681-693هـ/1282-1294م)، إستمر على نفس سياسة والده القائمة على توسيع تلمسان، وأخذ أطراف إمارته في وسط الجزائر وشرقها حتى وصل إلى تنس ومازونة والثنية والمدية ثم توجه إلى الجنوب⁽³⁾، حيث قام بإخضاع المدن التي لم تخضع للسلطة أيام والده مثل: الونشريس، ومدينة المدية سنة (688هـ/1289م)، ومدينة برشك سنة (693هـ/1294م)، كما عمل على إخضاع قبائل مغراوة وتوجين⁽⁴⁾.

سعى عثمان بن يغمراسن لإستكمال مشروع والده السياسي والعسكري الذي كان قد بدأ فيه قبل وفاته⁽⁵⁾، وذلك ببناء الدولة وتقوية أركانها ومؤسساتها، خاصة المؤسسة العسكرية، المتمثلة في الجيش الزياني. فنجده أدرك منذ البداية أهمية هذه المؤسسة. وبقاء الدولة وتشبيدها وتوسيع رقعتها يتوقف على مدى قوة مؤسسة الجيش وفعاليتها في حفظ الأمن ورد الإعتداءات الأجنبية المحدقة به (الحفصيون من الشرق والمرينيون من الغرب) والتغلب على الفتن الداخلية وحركات التمرد والعصيان التي كانت تقودها بعض القبائل الإنفصالية الراغبة في الإستئثار بالحكم⁽⁶⁾.

و في هذه الأثناء كان يوسف بن يعقوب⁽⁷⁾ السلطان المريني (706هـ/1286-1306م)، يشن العديد من الحملات العسكرية في فترات زمنية لا تتعدى تسعة سنوات مابين (689هـ-698هـ/1290-

1 - هوارية بكاي ، المرجع السابق، ص 193.

2 - نفسه، ص 197.

3 - صالح فركوس، المصدر السابق، ص 96.

4 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 40.

5 - غرداوي نور الدين، المرجع السابق، ص 68.

6 - نفسه، ص 78.

7 - يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله: بوع للحكم سنة 656هـ، واستمر إلى أن قتله خادمه في قصره بالمنصورة وهو محاصر لتلمسان، ينظر (غرداوي نور الدين، المرجع السابق، ص 78).

1299م⁽¹⁾، انتهت بالحصار الطويل لتلمسان أي حصار الثماني سنوات، فأنشأ بها معسكرا كبيرا لقواته جهزه بكل ما يحتاجه، ثم شرع في بناء مدينة سماها المنصورة تيمنا بالنصر، شيد بها قصرا وجامعا للصلاة ومؤسسات دينية وتعليمية ثم تبعه الناس في بناء الدور والمساكن، فالتسعت خطتها واستبحر عمرانها وراجت تجارتها، فتحوّلت في وقت وجيز إلى قوة إقتصادية ومالية، واستحوذت على مكانة تلمسان وأصبحت العاصمة السياسية والإدارية والعسكرية للمغربين الأوسط والأقصى ومنطلقا للجيوش ومكانا لاستقبال الوفود الدبلوماسية⁽²⁾، إذ شهدت فترة الحصار تدهور إقتصادي رهيب لدولة بني عبد الواد إذ عان شعبها من الجوع، أكلوا فيها القلط و الفئران بل و أشلاء الموتى و نزعوا الأخشاب من أسقف المنازل فاستعملوها وقودا، قد إستنفذت تلمسان كل الأموال و الحلي و الزراري و غيرها من ممتلكاتها الثمينة⁽³⁾.

ب. مرحلة النمو:

تمتد هذه المرحلة من (707هـ/1307م) إلى (791هـ/1397م) وسميت بمرحلة التوسع والإزدهار لانتهاء الحصار المريني لمدينة تلمسان، و إحياء الدولة الزيانية و إنبعائها من جديد على يد أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م)⁽⁴⁾.

قام أبو حمو موسى الأول بإصلاح ما تهدم خلال الحصار المريني وتوفير الأمن داخل تلمسان وأبرم إتفاقية تتضمن الإخاء وحسن الجوار ليؤمن ظهره، إهتم بالبناء والتشييد، وتطوير الجيش، وزاد في عدته و عدده، وأمن الطرق وحفر الخنادق، وخرن فيها من الطعام والإدام والملح والفحم⁽⁵⁾، واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة واستولت عليها القبائل، التي اغتنمت فرصة الصراع فأعلنت انفصالها عن الدولة، وقد علّق على ذلك التنسي

1 - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ\13-15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، ص 11.
 2 - رزيوي زينب، المرجع السابق، ص 12.
 3 - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص 337.
 4 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 40.
 5 - محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 146.

فقال: « أقام عمود الملك بعدما أشرف على الهلاك، فقارع الثوار، واقتحم الأنجاد والأغوار⁽¹⁾، واهتم بتطوير الجيش وحفر الخنادق، كما اهتم بالبناء والتشييد، إن أبا حمو موسى قام بهذه الأعمال في ظرف سبع سنوات فقط، حيث أن بني مرين رجعوا إلى تلمسان عام (714هـ) (1314م) وضابقتها وحاصروها من جديد بقصد الإنتقام من أهلها الذين عمدوا إلى المنصورة بعد ذهابهم فهدموها وطمسوا معالمها وتركوها أثرا بعد حين كما أسلفنا لكن أبا حمو تحصن بالأسوار ورجعوا إلى بلادهم خائبين قانعين من الغنيمة بالإياب⁽²⁾، ولكن مما يؤسف له أن الأمير أبا تاشفين ثار على والده عام 718هـ - 1318م فدبر مكيدة كان والده ضحيتها لإيثاره ابن عمه أبا سرحان مسعود بن أبي عامر عليه وتفضيله إياه ثم تقلد الحكم مكانه⁽³⁾.

شهدت هذه الفترة تطورا ملحوظا في نظام الحكم الزياني، وذلك بفضل الإصلاحات التي أدخلها السلطان أبو حمو وتتميز هذه المرحلة باستفحال بني عبد الواد واتساع نفوذها شرقا حتى شمال تونس⁽⁴⁾.

تمكن أبو حمو موسى الأول أن يصل إلى الأقاليم الشرقية الواقعة غرب البلاد الإفريقية، وتخطى حدود الدولة الحفصية إلى أن حط بظاهر العناب، وجبل ثابت القريب من قسنطينة⁽⁵⁾.

وفي عهد السلطان أبي تاشفين الأول خامس ملوك الأسرة الزيانية جلس على العرش سنة (718هـ/1318م)⁽⁶⁾، قام باغتيال والده أبي حمو موسى الأول لكي يستولي على الحكم. اتبع سياسة أسلافه حيث قام بإخضاع الأقاليم الشرقية وأمر بمحاصرة بجاية عشرية كاملة، وحاول غزو البلاد الإفريقية عدة مرات

1 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص11.

2 - الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بمحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص74.

3 - نفسه، ص75.

4 - بلال ولد العربي، قدور وهراني، مراتب وتقاليد نظام الحكم السياسي والديني في العهد الزياني (633-962هـ/1253-1554م)، الحوار المتوسطي، المجلد الحادي عشر، العدد1، مارس2020، ص193.

5 - رشيد بوروية وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص384.

6 - حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، عصور الجديدة، العدد2-عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص144.

كانت الأولى سنة (721هـ/1321م)، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة ولكنه لم يستطع إخضاعها لحصانتها، ثم عاد إلى وادي بجاية، وابتنى به حصن بكر وأنزل به الجنود والعتاد⁽¹⁾.

ج. مرحلة الاندثار:

وتبدأ من سنة (760هـ/1358م) وهي سنة بعث الدولة الزيانية من جديد على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني، وتنتهي بمصرع هذا السلطان عام (791هـ/1388م)، وتتميز هذه المرحلة ببروز ظاهرة جديدة لم تشهداها الدولة من قبل، وهو التلقيب بالخلافة، حيث تطوّر فيها نظام الحكم الزياني وتنوعت فيه مراتب الحكم وتقاليدته إلى مصاف الدول الإسلامية المتطورة آنذاك مشرقا ومغربا⁽²⁾.

رغم الشدائد والمصائب التي ألمت ببني عبد الواد إلا أنها لم تنل من عزيمتهم في إسترجاع مجدهم، ودور حمل لواء بني زيان هذه المرة سيكون للأمير أبي حمو موسى الثاني، عند تراجع أبي عنان إلى فاس سنة 1357م رأى أبو حمو أن الوقت مناسب للعودة إلى تلمسان، ففضي على ما تبقى من بني مرين وامت مبايعته سنة 1359م⁽³⁾، لقد إمتد حكمه 30 سنة تميز عصره بمنجزات سياسية وعسكرية وإسهامات حضارية، عمل على التصدي للقبائل المتمردة ومواجهة هجمات بني مرين الذين وجدوا من البسالة ما لم يعهدونه من قبل، بعد إنبعاث دولته حول إسمها الرسمي من بني عبد الواد إلى الدولة الزيانية⁽⁴⁾، وعلى عظمة هذا السلطان كانت نهايته مؤلمة، إذ كان قد استطاع أن يبعث الدولة الزيانية من جديد، فإنه لم يوفق في تحصين بيته من الداخل خاصة مع ابنه أبي

1 - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص386.

2 - بلال ولد العربي، قدور وهراني، المرجع السابق، ص193.

3 - حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص149.

4 - نفسه، ص196.

تاشفين الذي دخل في مواجهة مع أبيه بدعم من بني مرين إنتهت بمعركة قتل فيها أبوه⁽¹⁾ " أبو إسحاق إبراهيم"⁽²⁾.

وفي الأخير نستنتج أن يغمراسن بن زيان لعب دورا كبيرا في قيام الدولة الزبانية، التي مرت بمراحل، حيث كل مرحلة تختلف عن الأخرى التي شهدت فيها العديد من المشاكل الناجمة عن طمع الدول المجاورة لها "المرينية والحفصية" في التوسع على حسابها، وذلك بداية من تأسيسها على يد يغمراسن سنة (633هـ) إلى غاية سقوطها.

1 - نفسه، ص197.

2 - الفقيه الكاتب أبو إسحاق بن الفقيه الفرضي محمد الأنصاري الأوسي الغرناطي المعروف بالساحلي، ينظر (سهام دحماني، مشكلة الضرائب في عهد السلطان الزباني ابي تاشفين الأول (718-737هـ \ 1318-1337م)، مجلة دراسات، العدد الثالث، ديسمبر 2015، ص 154.

3. نظام الحكم:

ظل الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية من التأسيس إلى السقوط ملكيا وراثيا⁽¹⁾، وعرفت حكومتها ملكوية إستبدادية مطلقة غير جارية على قواعد الخلافة كالحكومات المعاصرة لها شرقا وغربا، و سياستها مع الدولة الحفصية و المرينية عدائية كسياستها معها⁽²⁾.

أ. النظام الإقطاعي:

ومعنى الإقطاع في العهد الزياني هو كل ما يمنح من إمتيازات للقبائل أو الأشخاص مقابل خدمات يقدمونها للدولة، فالسلطة الزيانية كانت تفوض لشخص أو لجماعة إستغلال الأراضي الزراعية وجباية الأعشار، وإستخلاص فوائد الرعي، وقبض الرسوم التي كانت تؤدي على الأبواب أو الممرات أو القناطر أو الأسواق وغيرها، وذلك وفقا لسياستها العامة التي إنتهجتها لضمان إستمراريتها³، من خلال هذا التعريف نستنتج أن الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط إنتهجت كغيرها من الدول المعاصرة لها في بلاد المغرب الإسلامي سياسة الإقطاع، خاصة إذا علمنا أن إستقرار قبيلة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط مرتبط بالأراضي التي أقطعت لهم من طرف الموحدين⁽⁴⁾، لذا إعتبر السلاطين الزيانيين الإقطاع عاملا محفزا قد يغري الكثيرين من الأفراد والجماعات، والمتمثلة في شيوخ القبائل وزعماء الحركات المناوئة للدولة، والتي وجدت الدولة في هؤلاء مع مراحلها الأولى وحتى في مراحلها اللاحقة الدعم والسند القوي في تثبيت سلطتها خاصة في المناطق البعيدة عن مركز سلطتها، وذلك لزعامتهم في مناطق مختلفة من أرجاء تلك المناطق⁽⁵⁾.

1 - بلال ولد العربي، قدور وهراني، المرجع السابق، ص193.

2 - محمد مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المصدر السابق، ص 448.

3 - بعلي محمد، بوركبة محمد، السياسة الإقطاعية في الدولة الزيانية (633-962هـ)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 17، العدد2، جوان2021، ص368.

4 - العربي لخضر، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633-962هـ)، أطروحة مقمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ وسيط إسلامي، جامعة وهران، الجزائر، 2018، ص103.

5 - نفسه، ص103.

وقد أقطع السلاطين الزيانيين الكثير من الأراضي الإقطاعية لأفراد معينين مقابل خدمات معينة يقدمونها للدولة، وتظهر الأمثلة الدالة على ذلك هو أن السلطان أبو حمو الثاني أقطع بعد عام 749هـ عرب المعقل مواطن بتلمسان لاستعمالهم في صفه ضد المرينيين ونفس الشيء عمله مع عرب حصين عام 768هـ⁽¹⁾.

ب. النظام العسكري:

النظام العسكري بمثابة العمود الفقري لأي دولة، فمهمته تكون مزدوجة في الداخل والخارج، وهذا ما قامت عليه الدولة الزيانية التي فرضت سلطتها بالقوة العسكرية، لذا إهتم سلاطينها بالجيش إهتماماً كبيراً، و سلكوا سياسة حربية متمثلة في نظام التربيعة في القتال والجوسسة و تنويع عناصر الجيش، بحيث كان لسلاطين بني عبد الواد عيون مبنوثة داخل المغرب الأقصى حتى لا يخفى عليهم شيء، و كان هؤلاء الجواسيس يحتلطون بالناس ليتعرفوا على أسرار الجيش المريني و تحركاته و ينقلون الأخبار إلى رؤسائهم لإبلاغ السلطان بالإستعدادات العسكرية للعدو⁽²⁾.

1 - بعلي محمد، بوركبة محمد، السياسة الإقطاعية في الدولة الزيانية (633-962هـ)، مجلد 17، المرجع السابق، ص 372.

2 - عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 323.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للدولة الزيانية:

الإقتصاد هو عصب الحياة بالنسبة إلى أي نظام سياسي ذلك أنه هو الذي يحدد مدى ثراء الدولة أو فقرها، ولا شك أن الحياة الإقتصادية تستمد وجودها من إمكانيات إقتصادية تتماشى بها المؤسسات المختلفة في الدولة سواء فيما يتصل بالزراعة أو التجارة أو الصناعة.

وإن كانت موارد الدولة تحدد من خلال هذه المجالات فإنها تتأثر إيجابيا بالوضع السياسية، وما يقوم بين الدولة وجيرانها من حروب كما تتأثر بالوضع الإجماعي وخصوصا ما يتصل بالأمن وكلما كانت الدولة مستقرة أصبح نظامها الإقتصادي أكثر تطورا ورقيا⁽¹⁾.

1. النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط:

لقد إهتمت الدولة الزيانية بالنشاط الزراعي و الصناعي والتجاري، ففي مجال الزراعة كانت الدولة أرضا زراعية بطبيعتها، لذلك إعتنى الأهالي بترقية الزراعة و إتباع طرق علمية معروفة في عهدهم مثل⁽²⁾:

- إستخراج المياه الجوفية.
- إعتنوا بتنوع المنتوجات
- إقامة السدود، حفر القنوات والجداول للري.
- الزراعة والإكثار من البساتين والحدايق حول المدن ووسطها، حتى أصبحت المنتوجات الزراعية والتجارية والصناعية تفوق حاجة المواطنين، وصدروا منها كميات كبيرة إلى أوروبا ودول الجنوب حتى ساحل غانا.
- وإلى جانب الزراعة إعتنوا بتربية الحيوانات والنحل حتى غدت من أهم موارد الدولة، ومن أهم صادراتها للخارج السمن والعسل الجزائري وخاصة في منطقة الأوراس.
- قد تميزت إمارة حكم الدولة الزيانية تلمسان بوفرة ثروتها الحيوانية مثل الإبل والأبقار والخيل والبغال، التي كانت رأس مال ومصدر رزق الكثير من الأفراد⁽³⁾.

1 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الإقتصادية والثقافية، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص11.

2 - فاتح مزردى، أضواء على المكانة الحضارية لتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة خصور الجديدة-مجلة محكمة صنف ج، المجلد 10، العدد1، مارس2020، ص211.

3 - إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص275

- فيإمتداد المراعي لا سيما على سفوح الجبال والسهول خاصة بعد موسم الحصاد وعلى ضفاف الأنهار والأودية تتواجد أعشاب ونباتات طبية ساعدت على تربية الحيوانات، فالأغنام والنحل والماعز ترعى في الجبال وعلى سفوحها، أما الخيول والأبقار تربي في السهول وحول المروج⁽¹⁾.

- صناعة النسيج عند الزيانيين هي من الصنائع الضرورية البسيطة تشمل كل من الخياطة والحياكة، لا شك في أن صناعة النسيج في الفترة الوسيطة تتطلب توفر المواد الأولية الخام في المقام الأول، وتتطلب في مرحلة لاحقة يد عاملة مؤهلة لذلك، وفيما يخص المواد الأولية فإن المصنفات التاريخية و من بينها كتب الرحلة و الجغرافية قد أشارت إلى وجود بعضا من هذه المواد في المدينة إمارة حكم الدولة الزيانية بوجه الخصوص تلمسان و هي كالتالي⁽²⁾:

- الصوف
- القطن
- الكتان

- التجارة:

الحياة الإقتصادية لدولة بني زيان كانت كغيرها من الدول تتركز على مجموعة أنشطة من المبادلات التجارية التي سنتطرق عليها في هذا الفرع:

يعتبر النشاط التجاري أهم مورد لحرفة الدولة الزيانية⁽³⁾، كما عمل الزيانيين على تشجيع الحركة التجارية بتوفير الأمن والماء للطرق التجارية وإقامة مؤسسات إقتصادية التي تعمل على جذب التجار من داخل الدولة وخارجها مثل: الفنادق والأسواق وسن القوانين التي تنظم التعامل مع التجار⁽⁴⁾.

إن الحديث عن الحركة التجارية في الدولة الزيانية يرتبط أساساً بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد، حيث تمثل الأسواق مركزاً للنشاط التجاري بصوره ومراحلته المختلفة فالأسواق هي مرآة عاكسة لحياة المدينة

1 - إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 275.

2 - رشيد خالدي، صناعة النسيج في تلمسان الزيانية (633-962هـ)، مجلة الإنسان والمجتمع، المجلد 09، العدد 18-ماي 2021، جامعة باجي مختار، عنابة، 2021، ص 71.

3 - بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002، ص 129.

4 - المرجع نفسه، ص 129

الإقتصادية وعنوان نشاطها التجاري والصناعي؛ بل والاجتماعي أيضا، وقد ملكت تلمسان عددا من الأسواق الأسبوعية والموسمية في البوادي والمدن كسوق سيدي بوجمعة الذي يُعقد كل يوم أربعاء بمدينة تلمسان، وسوق بني راشد الذي يُعقد كل خميس ويبيع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل والمنسوجات والحبال والسروج، كما وُجد عدد آخر من الأسواق الحرفية مثل سوق الحزازين، وسوق النحاس، وسوق الغزل والتسيج، وسوق الخضر والفواكه، وسوق اللحوم⁽¹⁾.

تميزت تلمسان ومحيطها في عهد الدولة الزيانية بنشاط تجاري مكثف، وربما كانت من أكبر الأسواق في المغرب الإسلامي نظرا لما كانت عليه من وفرة الإنتاج المحلي لمختلف السلع الزراعية، والحيوانية، والصناعية، والحركية الإستيراد والتصدير "فهي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب والأندلس لرخسها وطيب لحومها، وتواترت النصوص بأنها كانت تتميز عن غيرها "برخس أسعارها، ونفاق أشغالها، ومرابح تجارتها".

وكان بها فئة التجار الكبار، والقوافل التجارية التي تنتقل باستمرار بين مناطق الإنتاج ومناطق الإستهلاك في الحواضر المغربية، والموانئ الساحلية، والأسواق البعيدة، نحو أوروبا في الشمال، أو نحو السودان الغربي جنوبا⁽²⁾.

- الجباية:

من الجوانب الإقتصادية الهامة التي ركزت عليها الإمارة الزيانية جباية الأموال، إذ إعتمدت من طرف قبيلة بني عبد الواد حتى قبل أن تصير لهم دولة، فيورد لنا عبد الرحمن بن خلدون مثالا عن ذلك حينما إقتطعت من الدولة الموحدية الكثير من أرضها لجباية الأموال من قبائلها، فكانوا إذا خرجوا إلى مشايخهم بالصحراء، خلفوا أتباعهم بالتلال لإعتماد أرضهم وجباية الخراج من رعاياهم⁽³⁾، فكان من الطبيعي والمنطقي أن يستمر هذا النظام

1 - فاتح مزردى، أضواء على المكانة الحضارية لتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة عصور الجديدة-مجلة محكمة، صنف ج، المجلد 10، العدد1، مارس2020، ص220.

2 - قربان عبد الجليل، الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني (633-962هـ)، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، العدد13، ديسمبر، 2017، ص370.

3 - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، (د ط) دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ص365.

عند تكوين هذه القبيلة لدولتهم، ولهذا نجد القبائل الخاضعة للدولة الزيانية سواء كانوا من البربر أو العرب يسمون بالقبائل الغارمة، لأنهم كانوا ملزمين بإعطاء جزء من أموالهم للدولة كدلالة على خضوعهم وتبعية لهم لها⁽¹⁾.

2. عوامل قيام الثروة الطبيعية في المغرب الأوسط:

ويجدر بنا ذكر أهم عامل الذي ساعدها في قيام ثروتها الطبيعية المتمثل في عامل المناخ: ينحصر المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، بين البحر المتوسط من الجهة الشمالية والصحراء من الجهة الجنوبية وبذلك تتميز بثلاث أقاليم المتمثلة في:

أ. مناخ إقليم البحر المتوسط:

يشمل كل المناطق الشمالية المطلة على البحر المتوسط، والممتدة على طول الساحل ويعتبر مناخا معتدلا دافئا حيث يتميز بشتاء بارد وممطر وصيف حار وجاف⁽²⁾، ومن خصوصية هذا المناخ أن شتاءه مطرا وباردا، بينما يكون صيفه حارا وجافا نسيبا، والحرارة والجفاف كلما توغلنا نحو الجنوب⁽³⁾.

ب. مناخ إقليم السهوب:

يعد هذا الإقليم منطقة انتقالية تفصل بين الشمال والجنوب، وتمتد من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، ومن مميزات هذا الإقليم ندرة التساقطات، مقارنة بالمجال الساحلي ويشمل كل السهول والهضاب⁽⁴⁾، ونظرا للتنوع في الأقاليم الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط، كانت منطقة السهوب تشكل أيضا منطقة ربط وتواصل بين السهول الداخلية والصحراوية، وبالرغم من كونها أراضي واسعة وبراري أستعملت لممارسة الرعي أكثر منها للزراعة، وكانت قليلة التساقطات، إلا أنها كانت تزرع بها مساحات قليلة خاصة بالزرع، وهو نوع من الحبوب المقاومة للجفاف، وتستعمل كعلف للماشية⁽⁵⁾.

1 - إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة (7-10هـ/13-16م)، أطروحة دكتوراه، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013، ص429.

2 - جيلالي هناني، نظام الري بالدولة الزيانية من القرن (7-10هـ)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2021، ص20.

3 - يسرى الجوهري، شمال إفريقية، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م)، (د ت)، ص261.

4 - مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المصدر السابق، ص51.

5 - جيلالي هناني، المرجع السابق، ص17.

ت. مناخ الإقليم الصحراوي:

يمثل هذا الإقليم المجال الجغرافي الأكبر لبلاد المغرب الأوسط، حيث يبدأ إمتداده من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، ومن خصوصياته الإرتفاع المفرط في درجات الحرارة صيفا نهارا مع إنخفاض قليل لها في فصل الشتاء، نظرا لقلّة الرطوبة، وهو إقليم تكاد تنعدم به التساقطات المطرية على مدار السنة، إلا في بعض الأوقات النادرة، ولا ينال ما يكفيه من الأمطار، وغالبا ما تكون أمطار طوفانية فجائية، ورعدية، هذا ما يجعل طبيعة الحياة في الصحراء قاسية، تتمحور بالقرب من الواحات للإستفادة من الغرس والزرع بها⁽¹⁾.

بالرغم من خيارات الدولة الزيانية إلا أنها عاشت أزمات إقتصادية عدة نذكر من بينها:

- من أبرز الأزمات لدى بني زيان المجاعات، خاصة زمن الحصار الطويل، ومنها مجاعة سنة (776هـ/1375م) التي وصفت بالمجاعة الكبرى، إضافة لمصائب أخرى كالحقحط والجفاف الذي ضرب تلمسان سنوات (303-305هـ/916-918م)، و(776-778هـ/1375-1377م)⁽²⁾.

الملاحظ أن هذه المؤثرات الطبيعية قد كان لها أثر بالغ في تراجع الحاصلات الجبائية بموت السكان وإنقطاع الموارد، وفساد الإنتاج كمّا ونوعا مما يؤدي إلى قلة العرض أمام زيادة الطلب، وبالتالي ترتفع الأسعار وتكاليف الإنتاج، ولعلّ من أهم القطاعات المتضررة الزراعة التي يتراجع إنتاجها الزراعي والحيواني، وكذلك الصناعة التي تراجعت منتجاها المعتمدة على الثروة الحيوانية⁽³⁾.

من خلال ما سبق نستنتج أنه بالرغم من الصعوبات والحروب التي شهدتها الدولة الزيانية، إلا أنها ظلت المنطقة نشطة شجعت التجارة بها وازدهرت، ولا شك للموضع الذي تشغله المدينة لا يدل إلا على الموقع الإستراتيجي الممتاز، الذي يشكل نقطة وصل وملتقى وسط الطرق والممرات الرئيسية بين الشرق والغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى.

1 - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009 ص19.

2 - خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845هـ)، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، جوان 2009، ص22.

3 - طاهري أحمد، الأزمات الإقتصادية وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1236-1556م)، مجلة عصور الجديدة- فصيلة مصنفة "ج"، المجلد 10، العدد 3، سبتمبر 2020، ص177.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية للدولة الزيانية

1. سكان الدولة الزيانية:

الزيانيون أو بنو عبد الواد قبائل كما ذكر سابقا حكمت المغرب الأوسط، حيث اتخذوا من تلمسان عاصمة لهم، إذ كان بنو عواد عبارة عن رحل فكان سكان الدولة الزيانية مقسمون إلى:

أ. البربر:

هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد معروف العين والأثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والإباية عن الإنقياد للنسفة وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر⁽¹⁾، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب فمنهم ببلاد التخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره ومنهم قوم بالتلال بجبال طرابلس وضواحي إفريقية و بجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد واذ عنو الحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم و يعرف بهم فيقال وطن زناته ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى⁽²⁾.

المغرب الأوسط منطقة مأهولة بالسكان منذ عهود قديمة، وقد كان الأمازيغ أول من عمر هذه البقاع وعلى الغالب القبائل البربرية، شكل البربر الواد الأعظم في بناء الاجتماعي للمجتمع الزياني، نذكر من بين هذه القبائل:

- قبيلة مغراوة:

تعد مغراوة من أكبر بطون زناتة البربرية في بلاد المغرب، أبناء مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا، من القبائل البتر البدو الطاعنة الراحلة برزت كقوة لا يستهان بها، وصفها ابن خلدون في مصنفة العبر بقوله: "هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم"⁽³⁾،

1 - ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص200.

2 - نفسه، ص201.

3 - عبدلي زبيدة، قبيلة مغراوة الزناتية في ظل الصراع بين الأمويين بالأندلس وبنو زيري الصنهاجيين حلفاء الفاطميين ببلاد المغرب (361-391هـ)، مجلة عصور الجديدة - فصيلة مصنفة، ج، المجلد11، العدد2، جوان، 2021، ص104.

تمكنوا من فرض سيادتهم ببلاد المغرب، وكانت لهم الزعامة على سائر قبائل زناتة، وقد عبّر ابن حوقل توفي حوالي (368هـ/978م) عن ذلك فسماهم "ملوك زناتة"⁽¹⁾.

- قبيلة صنهاجة:

تعتبر صنهاجة من أهم القبائل البربرية في المغرب، تنتمي إلى فرع البرانس، يرجع نسبهم إلى إسم جدهم "صنهاج"، تميزت هذه القبيلة بكثرة العدد وسعة الإنتشار مثلوا بمفردهم الثلث من قبائل البربر⁽²⁾، إستطاعت قبائل البربر من صنهاجة أن تؤسس الدول في المغرب كالدولة الزييرية الصنهاجية في إقليم المغرب الأدنى القيروان والمهدية والدولة الحمادية الصنهاجية في المغرب الأوسط المسيلة وبجاية حاليا ودولة المرابطين الصنهاجية⁽³⁾، حسبما ذكره ابن خلدون في مصنفه "العبر" بقوله: "هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما قبله، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر"⁽⁴⁾.

ب. العرب:

يعود إتصال العرب بمنطقة المغرب الأوسط إلى بدايات الفتح الإسلامي أثناء القرن الثاني للهجرة، ولم يستوطنوها إلا في أواسط القرن الخامس الهجري، حين شهد المغرب حدثا هاما غير ما كان عليه العرب وجعلهم عنصرا مؤثرا في التركيبة السكانية للمنطقة، وتمثل هذا الحدث في الهجرة الهلالية أو كما يسميها بعض المؤرخين بالغزوة الهلالية⁽⁵⁾، ومن بين القبائل التي حلت بأرض المغرب: بنو سليم، بنو هلال وأحلافهم من الحشم والخلط والمعلل، أما بنو هلال فقد توطنوا بين المسيلة وورقلة في المغرب الأوسط⁽⁶⁾.

1 - عبدلي زبيدة، المرجع السابق، ص104.

2 - ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص201.

3 - بن حاج ميلود، دول البربر في تاريخ المغرب والأندلس من ظهور الدولة الزييرية إلى سقوط دولة المرابطين (362-541هـ)، مجلة العلوم القانونية والإجتماعية، جامعة زيان عاشور بالجلفة-الجزائر، المجلد الخامس، العدد الرابع/ ديسمبر2020، ص472.

4 - عبدلي زبيدة، هيصام موسى، موقف زيري بن مناد من ثورة أبي يزيد الخارجي وانعكاساته السياسية على قبيلة صنهاجة (331-336هـ)، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 13، العدد1، جانفي2021، ص83.

5 - فؤاد طوهارة، المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني، دراسات تاريخية، العدد 16، حزيران، 2014، جامعة 08 ماي 45 قلمة، الجزائر، ص57.

6 - المرجع السابق، ص57.

ج. الأندلسيون:

إن سقوط غرناطة في الأندلس بيد المسيحيين الأسبان عام 1492م كان نقطة تحول في تاريخ الأندلس وتاريخ شمال إفريقيا، حيث هاجر عدد كبير من العرب الأندلسيين من الأندلس والتجأوا إلى الموانئ العربية شمالي إفريقيا (الهجرة إلى المغرب الأقصى، المغرب الأوسط)،⁽¹⁾ وكان لهم وجود في بني جدليداس القريبة من مدينة تنس، وفي مدينة المسيلة في أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وكذلك إستقرت منهم طائفة منه في مرسى آرزيو⁽²⁾.

من خلال ما سبق نجد أن المجتمع الزياني كان خليطا من الأجناس فقد ضم العنصر البربري الذي يعتبر العنصر الأصلي، إضافة إلى العنصر العربي والأندلسيين، ورغم إختلاف التركيبة البشرية عرقيا ودينيا وحتى لغويا إلا أنهم صنعوا الحياة في المغرب الأوسط.

2. فئات المجتمع الزياني

● فئة الحكام:

المقصود بها الفئة العليا في المجتمع كالسلاطين والأمراء من بني زيان والوزراء وكتاب الدواوين، وقادة الجيش، وكان هؤلاء أكثر شرائح المجتمع إستفادة من الدولة بحكم وظائفهم في تسيير دواليب الحكم⁽³⁾، وظلت هذه الفئة تعيش حياة مترفة بحكم موقعها في جهاز الدولة، وكانوا يحظون بإمتيازات خاصة، إضافة إلى ذلك كان بعض الموظفين كالقضاء والفتيا والخطابة والجبابة والحسبة ضمن هذه الفئة بحكم إحتكاكهم اليومي بالسلطات، وقد كانت الدولة تقدم لهم المساعدات وتمنح لهم المنح المالية، وإذا كانت هذه الإسهامات تقوم بها الدولة فهي نفسها تعمل على إنهائها⁽⁴⁾.

● فئة العلماء والفقهاء:

1 - صديقي بلقاسم، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب 15-17م الدوافع والمراحل، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد5، جوان2017، ص95.

2 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 174.

3 - نفسه، ص 212.

4 - خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 272.

كان لفقهاء وعلماء الدولة الزيانية مكانة خاصة لدى الدولة الزيانية، فكانوا ينالون التقدير والإحترام سواء من رجال الدولة أو عامة الناس وأحيانا يعنون بالرياسة، ذلك لأنهم كانوا مقربون من الحكام والخلفاء⁽¹⁾، و نالوا تكريما عظيما من خلال الحركة الفكرية، فقد إجتهد الخلفاء الزيانيون على إستجلاب عدد من العلماء و الفقهاء من الأندلس الذين كانوا يشتغلون بالعلم و التجارة والفلاحة⁽²⁾، كان إهتمام خلفاء الدولة الزيانية شيء مثير للفخر والإعتزاز، الأمر الذي دفعهم حتى وفي ظل نزاعاتهم وسوء أوضاعهم مهما كانت سياسية أو إقتصادية لا يغفلون على الجانب العلمي ويسعون دائما لتقريب فئة العلماء والفقهاء منهم ومن عائلتهم.

• أصحاب المهن والصنائع:

تشكل هذه الفئة طبقة إجتماعية متميزة من حيث تعدد أشكالها وتنوعها في المغرب الأوسط، وتضم أنشطة عدة مختلفة تفسر في مضمونها المستوى المعيشي والمكانة الإجتماعية. لقد عبرت بعض المصادر عن الوضع المادي المريح لفئة التجار، ذكرهم الونشريسي بقوله: "أكابر" التجار ذوي الأموال الطائلة⁽³⁾، ويصفهم الوازن بأنهم "أناس منصفون" مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم.... وهم وافروا الغنى أملاكاً ونقوداً⁽⁴⁾.

3. الحياة الأدبية والفكرية:

من المعروف عن السلاطين والحكام أنهم كانوا يحكمون بالقوة، وكذا العصبية القبلية والإمتداد العرقي، لكن الظاهر أن سلاطين بنو زيان كانوا على دراية بأهمية العلم للسلطان فالمكانة العلمية الرائدة التي كانت تتمتع بها مدينة تلمسان ترجع بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية التي كان يتميز بها سلاطين وأمراء بنو زيان⁽⁵⁾.

إتجهت الحياة الأدبية للدولة الزيانية نحو النضج والإزدهار، فدعوا العلماء و الفقهاء والأدباء للتدريس فيه و نشر العلم و المعرفة بها حتى أصبحت قطبا علميا ومفخرة للعالم الإسلامي ، حيث عمل يغمراسن على تشجيع الحركة الفكرية و التعليمية بتلمسان ، كما حرص على إستقدام رجال العلم إلى عاصمته ، وشجعهم على التدريس و التأليف⁽⁶⁾، حيث بلغت ذروتها في عهد أبي حمو الثاني "الذي كان يشجع الأدباء والشعراء متبعا في

1 - نواره شرقي، الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي عهد الموحدين، أطروحة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب العربي، جامعة الجزائر، 2008 ص91.

2- نواره شرقي ، المرجع السابق، ص91.

3 - الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص265.

4 - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 365.

5 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، المرجع السابق، ص300.

6 - ابن مريم الشريف المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، المطبعة التعاليمية، 1908، ص277.

ذلك سنة أبائه وأجداده من الخلفاء والأمراء، في تقريب العلماء والأدباء من مجالسهم، كما كان شديد العناية بهم و يتقرب منهم إلى درجة أنه كان يدخل المسجد الجامع لسماع الدروس التي كانوا يلقونها الشيوخ على الطلبة⁽¹⁾، ولم يكن قرض الشعر والتأليف في الأدب والعلم وقفا على الشعراء والأدباء من عامة الناس وحدهم بل كان الملوك والأمراء والأطباء وعليه القوم من رجال الدولة أيضا يقرضون الشعر ويكتبون الأدب⁽²⁾، وكان شعرهم يستقيم لهم ويطول نفس قصائدهم حتى أنّ البعض منهم بلغت قصائده مائة بيت وأكثر " كان البلاط الزياني حافلا بالشعراء والأدباء من أهل تلمسان وشتى بلاد المغرب والأندلس، وكان شعر هذه المرحلة مصطبغا بظروف العصر، وأحداثه السياسية والثقافية، فازدهر الشعر الديني كالمديح النبوي والمولدات، وشعر الزهد والشعر الصوفي، كما كثر النظم في شعر المديح السياسي الذي كان يدور في فلك سلاطين بني زيان إضافة إلى وصف الطبيعة والثناء والفخر والغزل وغير ذلك من الأغراض الشعرية المعروفة في الأدب العربي⁽³⁾.

من خلال ما ذكر نجد أنه كان لتلك النزعة أثر بالغ الأهمية في الحياة الثقافية والعلمية طوال مدة قيام الدولة الزيانية، هذا ما أدى إلى بروز علماء وفقهاء، وكذا أدباء كبار ساهموا في إزدهار العلم ونشاط الحياة الفكرية، ذلك أن هذا الذي تميز به حكام بنو زيان وجعلهم يعملون على تقريب العلماء والمفكرين سواء المحليين أو النزلاء من خلال رعايتهم وتوفير الأجواء الملائمة لهم.

1 - يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (د ط) مطبعة بيبير فونطانا الشرفية، الجزائر، 1903، ص 99.

2 - عبد العزيز قيبوج، الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ)، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، المجلد 3، العدد2، 2019، ص44.

3 - نفسه، ص45.

الفصل الثاني

النشاط الحرفي في الدولة الزيانية

المبحث الاول: ماهية النشاط الحرفي.

المبحث الثاني: مقومات النشاط الحرفي في الدولة الزيانية.

المبحث الثالث: الحرف والصنائع في المغرب الأوسط في العهد

الزياني.

المبحث الرابع: التنظيمات الحرفية ونظم الحكم في النشاط الحرفي

في المغرب الأوسط.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي في الدولة الزيانية

المبحث الأول: ماهية النشاط الحرفي

1. تعريف الحرفة:

أ. الحرفة لغة:

عرفها ابن منظور فيقول: "الحرفة هي الصناعة والمخترف هو الصانع وحرفة الرجل صنعته أو صناعته، وحرف لأهله واحترف كسب، وطلب واحتال، وقيل الإحتراف هو الكسب أيًا كان⁽¹⁾". وكذا عرفها البعض على أنها صناعة وجهة الكسب، فحرفة الرجل صنعته وحريف الرجل معاملته في حرفته، ويقال هو يحترف لعياله ويحرف، أي يكتسب لهم، وفي الحديث: "إن الله يحب العبد المخترف"، ومما ورد: "الحرفة أمان من الفقر"⁽²⁾.

ب. التعريف الاصطلاحي:

الحرفة في الاصطلاح هي وسيلة من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها⁽³⁾، وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة، لأنه ينحرف إليها، ويقولون: صنعة فلان أن يعمل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا، وقد روي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني"⁽⁴⁾، والحرفي هو الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة⁽⁵⁾.

1 - ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 839.

2 - أحمد الشرباصي، المعجم الإقتصادي الإسلامي، (د ط)، دار الجيل، (د م)، 1981، ص 111.

3 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة وزارة التربية والتعليم، مصر، 1989، ص 146.

4 - جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ، الجامعة الأردنية، 1994، ص 13.

5 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، 2004، ص 167.

كما تعرف الحرفة على أنها مجموعة من الخبرات المتراكمة من جيل إلى آخر بأساليب مبتكرة وأدوات بسيطة ومهارات يدوية⁽¹⁾.

عرفها ابن خلدون فقال: «اعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران فهي تشد عن الحصر ولا يأخذها العد، إلا أن منها ما هو ضروري كالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضع فكالتلويد والكتابة والوراقة والغناء والطب»⁽²⁾.

أما الحرفي فعرفه تهامي علي على أنه الإنسان الذي يمارس عمل يدوي ويستعمل فيه قدراته الإبداعية، كما يجب عليه أن يتمتع بالتأهيل الحرفي، ويمكنه العمل في منزله أو في مصنعه أو معمل مجهز، فالمعنى الحقيقي لكلمة حرفة هو كل عمل سامي حقق لفائدة المجتمع بواسطة رجل تكون في مدرسة الحياة والجهد والعمل⁽³⁾.

من خلال ما سبق نستنتج أن الحرف تعكس درجة تطور وتقدم المجتمعات، ويجب على المحترف أن يكون متمتع بالتأهيل الحرفي، ويمكنه كذلك استعمال بعض الأدوات الميكانيكية سواء كانت ملكا له أو لغيره، كما يمكنه العمل في منزله أو مصنعه أو معمل مجهز، وكلما كثرت وتنوعت الحرف إلا وزاد المجتمع تطورا وتقدما وازدهارا وتوسعا في شتى الميادين، وسوف نتطرق من خلال هذا الفصل إلى مجموعة من الحرف المختلفة التي ظهرت في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط في الدولة الزيانية.

¹ - بشير إبراهيم دسيس، الصناعات التقليدية والجذب السياحي في البحر المتوسط، دراسات وبحوث في التروبولوجيا الاقتصادية، ط1، دار البيطار، 2001، ص29.

² - ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، ج2، ص508.

³ - علي شبيطة، الصناعات التقليدية الفنية في الجزائر، أطروحة دكتوراه، تخصص علم اجتماع، جامعة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015، ص10.

2. الصناعة:

أ. التعريف اللغوي:

تعرف بصنع صنعه يصنعه صنعا، فهو مصنوع وصنيع: عمله، واصطنعه: اتخذ، واستصنع الشيء: دعا إلى صنعه، وصنع اليد من قوم صنيعي الأيدي وأصنع الأيدي⁽¹⁾.

ويعرفها الجوهري أنها حرفة الصانع، وعمله الصنعة، وامرأة صناع اليدين، أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين، والرجل صنيع اليدين وصنع اليدين أيضا بكسر الصاد أي صانع حاذق⁽²⁾، وكل صناعة تعمل باليدين، " فالصناعة حرفة الصانع والصانع مفرد صانع هم الذين يصنعون بأيديهم⁽³⁾، ومن أسمائها "الحرفة" لأن الإنسان ينحرف إليها أي يميل إليها، فالحرفة إسم من الإحتراف وهو الإكتساب يقال: هو يحرف لعياله ويحترف أي يكسب من هنا وهنا، والإحتراف هو الإكتساب أيا كان⁽⁴⁾.

وبالتالي فإن الصناعة تدخل ضمن تعريف واحد صنع الشيء أي عمله وأبدع فيه، وهي كل ما يصنع من طرف شخص صانع باليدين.

ب. التعريف الاصطلاحي:

هي كل عمل يقتضي استعمال الأيدي، فعرفها الجرجاني على أنها "ملكة نفسانية" فهي كل ما اشتغل به الإنسان ومارسه حتى صار ملكة فيه، فالصناعة هي العمل المتعلق بكيفية العمل، والملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن⁽⁵⁾.

عرفها ابن خلدون: "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، و بكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في

1 - ابن منظور، المصدر السابق، ص2508.

2 - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979، ص1245.

3 - محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993، ص324

4 - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001، ص146.

5 - نفسه، ص146.

الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صنعة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل و تكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته"، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة كما أضاف إلى ذلك تقسيما للصنائع، فذكر منها البسيط و المركب فالبسيط خصصه للضروريات والمركب خصصه للكماليات⁽¹⁾.

نستخلص مما سبق أن الصناعة هي الحرفة بنفسها، فهي بذلك تمثل أهم مظاهر التطور الحضاري للإنسان ووسيلة رئيسة لجلب لقمة عيشه وكذا قيام الدولة بها.

¹ - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص501.

المبحث الثاني: مقومات النشاط الحرفي

إن المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط كان يمتلك مقومات الصناعة في الجانب الطبيعي وفي الجانب البشري، من موارد الطاقة حسب تلك الفترة، ومعادن، وخامات زراعية متنوعة وكثيرة، ويد عاملة صناعية.

1. المقومات الطبيعية:

أ. المعادن:

اشتهرت بلاد المغرب الأوسط عموماً بالعديد من ثرواتها المعدنية، من حديد في مدينة بونة⁽¹⁾ التي تحتوي على عدد كبير من مناجم الحديد و كذا في بلاد كتامة وبجاية⁽²⁾، وكان يستخدم معدن الحديد في تشكيل مختلف الأسلحة باعتبارها مادة أساسية⁽³⁾، كما استعمل في صناعة السفن⁽⁴⁾، والنحاس في جبل كتامة و الزئبق قرب مدينة ارزاو⁽⁵⁾، والفضة و الرصاص و حجر اللازورد إضافة إلى هذه المعادن معدن المرجان الذي خصص لعملية إستخراجه قوارب تحمل العديد من الرجال وكان لكل قارب آلة ذات ذوئب كثيرة تصنع من القنب و الكتان، و تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيتعلق به وكانوا يستخرجون منه الكثير كل سنة ويبيع بأموال طائلة⁽⁶⁾.

1 - بونة: مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناي غنية بمعدن الحديد، ينظر(شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993، ج5، ص512).

2 - الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس،(د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1970، ص115.

3 - الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مج1، ص260.

4 - نفسه، ص260.

5 - أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص145.

6 - أسماء خلوط، الموانئ ودورها في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس من القرن 3 إلى 6 هـ، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة ابن خلدون-تيارت، الجزائر، 2021، ص 148-149.

ب. الثروة النباتية:

تحتوي بلاد المغرب الأوسط على مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة و القابلة للزراعة، و قد عمل سكانها على تطوير الزراعة بها⁽¹⁾، وصف فيها ابن حوقل مدينة بونة "وفيها خصب ورخص موصوف وفواكه وبساتين قريبة وأكثر فواكهها من باديتها"⁽²⁾، ويصف الإدريسي مدينة تلمسان "بها جنات ومياه جارية من عيون ومدينة تنس شرب أهلها من عين ولها من جهة الشرق واد كثير الماء يشربون منه"⁽³⁾، فأصبحت بذلك من أهم مجالات الحياة، و كان النشاط الزراعي في مجمله مزدهرا رغم اختلافه من منطقة لأخرى، لاختلاف الظروف الجغرافية و المناخية.

ت. المواد الأولية:

تعتبر المواد الأولية من أهم المقومات لاستمرار النشاط الحرفي، ومن خلال ما ذكر سابقا يعتبر المغرب الأوسط غني بالموارد الطبيعية كونه يقع في موقع إستراتيجي وفيما يلي بعض هذه الموارد⁽⁴⁾:

ث. المواد الفلاحية والزراعية:

كانت هذه المواد ضرورية بالنسبة للحرفيين والصناع في المدينة ومن هذه المواد نذكر الآتي:

• الصوف:

تعد مادة الصوف من بين المواد التي كانت تقوم عليها صناعة النسيج في تلمسان خلال العصر الوسيط، فإنه يمكن القول بأن هذه المادة كانت متوفرة بشكل يستجيب لحاجيات المدينة وحرفيها على حد سواء، بل ويمكن القول أيضا بأن مادة الصوف التي كانت تنتجها مدينة تلمسان استطاعت في فترات معينة أن تستجيب لمتطلبات المدن و الحواضر المجاورة لها مثل إفريقية و فاس وبلاد الأندلس⁽⁵⁾، كما اشتهرت عنابة بتربية المواشي خاصة الغنم والماعز، وكانت مقصد التجار لشراء صوفها الجيد⁽⁶⁾. ويضيف

1 - الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 260.

2 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 256.

3 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 251.

4 - رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 200.

5 - مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، العراق، ص 179.

6 - مارمول كرخال، إفريقية، تر: محمد حجي وآخرون، ج 3، الجمعية المغربية للتأليف للترجمة والنشر، الرباط، 1989، ص 8.

الإدريسي "شرشال لأهلها مواشي وأغنام كثيرة"⁽¹⁾، ويعبر الوزان عن أحد مالكي الثروة الحيوانية قائلاً: "تكاثرت بقره وخيله وغنمه إلى حد أنه أصبح هو نفسه لا يعرف عدد رؤوس تلك الماشية، فكان له زهاء خمسمائة من الخيل ذكورا وإناثا وعشرة آلاف من الغنم وألفين من البقر"⁽²⁾.

• القطن:

إن زراعة القطن كانت معروفة في السهول التي تنتشر بالقرب من مدينة تلمسان، فكانت أسواق المدينة يرتادها بعض التجار و الذين كانوا يبيعون مادة القطن للأفراد خاصة الصناع منهم الذين كانوا يصنعون منه ملابس مختلفة⁽³⁾، و وصل الأمر إلى تصدير كميات منه إلى بعض الدول الأوربية⁽⁴⁾، وكذا بلاد السودان، حيث كانت تصلها كميات من هذه المادة قادمة إليها من تلمسان⁽⁵⁾.

• الكتان:

كانت هذه المادة معروفة لدى الصناع التلمسانيين باعتبارها أحد مقومات صناعة النسيج، كان الكتان من النباتات المنتشرة في المغرب الأوسط، خاصة بالمدينة ومنتجة، و كان الأوروبيون ولاسيما البيزيون والبنادقة منهم، يستوردون كميات من الألياف يستعملونها في النسيج، كما كان التجار يخرجون بالكتان من ميناء برشك إلى موانئ الجزائر وبجاية وتونس فيحصلون على أرباح معتبرة⁽⁶⁾.

1 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 258.

2 - حسن الوزان، المصدر السابق، ص 28.

3 - الوزان، المصدر السابق، ص 71.

4 - رشيد خالدي، صناعة النسيج في تلمسان الزيانية (633-962هـ)، المرجع السابق، ص 71.

5 - لطيفة بشاري، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، مختبر البحث التاريخي، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، ص 55.

6 - نفسه، ص 55.

2. المقومات البشرية:

اليد العاملة:

تعد الإمكانيات البشرية من المؤهلات الأساسية في بناء حضارة أي مجتمع كان، باعتبار أن الحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع الوسط البيئي الذي يعيش فيه، لذا بات من الضرورة دراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الزياني⁽¹⁾.

كانت اليد العاملة متوفرة لوفرة السكان لكن اليد العاملة المؤهلة (الإطارات) قليلة وتعتمد على نقل الخبرات من جيل إلى جيل، وبتعدد الحرف وتنوع أشكالها في المغرب الأوسط، كانت اليد العاملة من الحرفيون و غيرهم يزاولون نشاطهم في جماعات⁽²⁾، حيث تمارس كل جماعة نشاطها الحرفي في مكان محدد لها يعرف باسم الحرفة التي تمارسها، ونظرا لأن هؤلاء الحرفيين كانوا تجارا أيضا فإن الأسواق بالمغرب الأوسط قد عرفت عدة طوائف منهم كالعطارين والقبابين والخراطين والإسكافيين والسراجين والنجارين والحدادين والدرازين والصباعين والدباغين وغيرها من الحرف المنتشرة في الأزقة والساحات⁽³⁾.

إذ تعد التجارة في العصر الوسيط الوظيفة وهي تشمل الوسطاء التجاريين من سماسة ودلالون ووكلاء حيث يتولى السمسار عرض بضائع التجار والمناداة عليها لتبدأ المزايدة بين الناس، إلى أن تتوقف عند نسبة معينة فتباع، كما يقوم بإرشاد التجار إلى مواضع السلع من المدينة فيتعرف البائع على المشتري والمشتري على البائع، ويبدو أن السمسار والدلال، مسميات لموظف واحد لأن مهامهم لا تختلف كثيرا عن بعضها، بالنيابة عن صاحب السلعة في بيعها، والمناداة عليها. كما يبدو أنهم ليسوا تجار بآتم معنى الكلمة، لأن مهمتهم الوساطة فقط، ولا يعرف إن كانوا يملكون رؤوس أموال يوظفونها في التجارة، ولم يكن حضور التجار الوسطاء في النصوص المصدرية كبير، فبالكاد يعثر على ما يدل على نشاطهم بالمدينة⁽⁴⁾.

1 - لخضر العربي، المرجع السابق، ص 67.

2 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 220.

3 - الوزان، المصدر السابق، ص 19.

4 - فاطمة الزهراء شلية، أسواق مدينة بجاية في العصر الوسيط (460-915هـ)، المجلة المغربية للمخطوطات، المجلد 16، العدد 01، 2020، ص 86.

المبحث الثالث: الحرف والصناعات في المغرب الأوسط في العهد الزياني:

تعد الحرف من الأعمال الإنسانية العريقة، والتي ارتبط ظهورها بظهور الإنسان وحاجته إلى البحث عن الطرق الموجهة لتحصيل القوت والوسائل المستخدمة في ذلك، وظلت الحرف تتطور وتتوسع مع تطور تفكير الإنسان في اتخاذ المسكن وصنع اللباس، بحيث شكلت هذه الأخيرة آلية اقتصادية في غاية الأهمية، ساهمت في تقديم أشكال متنوعة من الخدمات للمجتمع في مجال المعاش والتجارة، والبناء، والتحويل، والرعاية الطبية، كما كان لها دور بارز في بناء الثروة والإقتصاد.

1. الحرف والصناعات في المغرب الأوسط:

أ. الفلاحة:

يقوم اقتصاد الدول في العصور الوسطى على عناصر وأنشطة مارسها أهلها، منها الزراعة التي تعتبر أهم نشاط إقتصادي يمارسه الناس في الريف، لذلك يعتبر الريف الرئة الاقتصادية للمدينة في البلاد في المجال الزراعي عامة، خاصة إذا علمنا أن الإقتصاد في الوقت الذي سيطر فيه الزيانيون على الزراعة أكثر من الصناعة والتجارة، ويعود ذلك لعدة أسباب منها على سبيل المثال ظهور الجمهوريات الإيطالية على الساحة وتنافس التجارة المغربية في حوض البحر الأبيض المتوسط⁽¹⁾.

تعتبر الفلاحة من أهم النشاطات التي بني عليها الإقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي عامة، وفي المغرب الأوسط خاصة، لأنها بمثابة العمود الفقري الذي يمد الدولة بالثروة التي تركز عليها في بناء كيانها وقوتها، كما تعتبر من أهم الحرف التي عرفها الإنسان ومن أقدمها، فهي أهم المصادر التي بواسطتها يؤمن قوته، كما يزود هذا النشاط ورشات الحرفيين بالمواد الأولية المختلفة التي لا تستغني عليها صنائعهم وحرفهم، وتوفر للتجار السلع التي تحرك عجلة السوق، وتسافر بها الركبان إلى البلاد البعيدة طالبة الربح الجيد⁽²⁾.

عرفت الدولة الزيانية زراعة الحبوب خاصة القمح والشعير وذلك ملائمتها للمنطقة، والحمص والبقول والعدس والذرة والجلبان، ونظرا لأهمية الحبوب التي كانت تمثل المزروع الغذائي الرئيسي للسكان

1 - لخضر العربي، الحرف و تنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، العدد 04، جوان 2013، ص 311.

2 - رفيق شلابي، الحرف والصناعات في مدينة تلمسان وضواحيها خلال العهد العثماني، المجلة العربية للدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 13، عدد 1، جانفي 2021، ص 832.

المزارعين وحتى الحيوانات المستخدمة في الزراعة، وقد زرع القمح في الجهة الشمالية وفي سهل تنس وكذلك الحنطة إضافة إلى السهول الصغيرة الغنية بالحبوب وهي أراضي برشك ندرومة وأرشكول كما اهتموا بغراسة الأشجار المثمرة ومختلف الفواكه وغرسوا الزيتون الذي يعتبر ضروري ومهم لتعدد فوائده، والذي وجد في كل من هنين، ونجد، وتلمسان⁽¹⁾، وغرسوا التين والكرام والرمان والسفرجل والتفاح والكرز والمشمش والزعرور والخوخ والبرقوق والجوز واللوز والليم والنخيل بالجنوب. ويذكر الوزان: "فيها الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون طيبة المذاق وأنواع الكرز كثيرة التي لم أرى لها مثيل والتين الشديد الحلاوة والخوخ والجوز وغيرها"⁽²⁾، وكذلك التمور التي تظهر فائدتها حال انعدام الخضر والفواكه، وقد انحصر إنتاجه في شمال إقليم توات. كما زرعوا مختلف الخضروات من فول وكرنب وخس وقتاء وجزر ولوبيا وباذنجان وخيار وبصل وثوم وفقوس ولفت... إلخ.

اهتم السلاطين الزيانيين باتخاذهم البساتين والحدائق والحمائل والأدواح داخل قصور الملك بكل ما تحتويه من أصناف الفواكه و الأشجار المثمرة، كما شهد العهد الزياني تطور مستمر للفلاحة و ذلك من خلال الإهتمام بالطرق العلمية في الغراسة، بالإضافة إلى وجود بعض من اليد العاملة المتخصصة في هندسة البساتين والحدائق وغيرها، وهو الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد بوجود نوع من الثقافة الفلاحية العلمية لدى الفلاح الزياني بصفة عامة⁽³⁾.

كان الإهتمام الذي نالته الفلاحة من طرف كل فئات المجتمع والسلطة نابعا من حجم وقيمة الخدمات المختلفة التي توفرها لهم، فبالنسبة للمجتمع فهي تقدم كل أنواع الغذاء الضروري لحياة أفرادها، وتوفير فرص العمل، وبناء الثروة، وبالنسبة للسلطة فهي توفر المال للقصر وخزينة الدولة عن طريق الضرائب المفروضة على الفلاحين. وللإشارة فإن هذا القدر من الخدمات لا يمكن أن يوفره هذا النشاط لولا توافر جملة من الظروف والإمكانات التي ساهمت بدون شك في تطويره⁽⁴⁾.

1 - رفيق شلابي، المرجع نفسه، ص 832.

2 - الوزان، المصدر السابق، ص 20.

3 - لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633هـ/962هـ)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ وسيط إسلامي، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، 2018، ص 48.

4 - نفسه، ص 50.

إن المملكة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها، حيث كانت الفلاحة بها من أهم منابع الثروة وهي من القطاعات الحيوية التي أولتها الدولة الزيانية عناية كبيرة، حيث صار الغالب على أهلها مهنة الفلاحة، فقد كانت الزراعة مزدهرة والمحاصيل بها وفيرة⁽¹⁾، كما تمكن من تصدير بعض المحاصيل والحيوانات، كما كانت السهول المحيطة بالمدن والقرى الزيانية مجالاً للنشاط الزراعي، فقد تنوعت المحاصيل الزراعية وزاد إنتاجها ومن بينها الخضر والفواكه⁽²⁾.

تتوفر زراعة الخضر والفواكه في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون في شكل مزارع وبساتين وجنان، ومن بينها الجزر والكرنب والبصل والخيار واللفت والباذنجان والقرع وقصب السكر والخس، فأما تلمسان فكانت تنتج الفول والكرنب والخس واللفت والبقوس والخيار⁽³⁾.

أما الفواكه فيذكر الوزان: "إنها الكروم المعروشة الممتازة، تنتج أعناباً من كل لون طيبة المذاق، وأنواع الكرز الكثيرة والتين الشديد الحلاوة، وهو أسود غليظ طويل، يجفف ليؤكل في الشتاء، والخوخ والجوز واللوز والبطيخ وغيرها من الفواكه"⁽⁴⁾، وكانت المناطق الممتدة بين هنين وتلمسان الأخرى تنتج كمية كبيرة من الثمار منها المشمش والتفاح والإجاص والخوخ، وما لا يحصى من التين والزيتون، أما تلمسان فكانت منطقة كثيرة الزرع والفواكه فيها المشمش المقارب في حسنه لمشمش دمشق و شجر الجوز كثيراً بها فهي زكية الأرض من الزرع والضرع⁽⁵⁾.

أما العبدري فقال عن تلمسان: "الدائر بالبلد كله مغروس بالكروم وأنواع الثمار" أما تيهرت فقد اشتهرت بزراعة الحبوب لكثرة مياهها وبرودة مناخها، أما حوض الشلف فيتميز بوجود مجموعة من المحاصيل منها القمح والشعير، وأما التمور فتنتج بالمناطق الصحراوية جنوب المغرب الأوسط أهمها إقليم توات

1 - حسيبة عمروش، انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني(633-962هـ)، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر، 2018، ص25.

2 - إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص30.

3 - عبد الكريم حساني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (7-8 هـ)، مجلة كان التاريخية، العدد17، القاهرة، مصر، 2012، ص93.

4 - الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج2، ص20.

5 - محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص28.

بالإضافة إلى هذه المحاصيل نجد زراعة القطن والذرة، فالقطن والكتان من المحاصيل الهامة في المغرب الأوسط خاصة في الصناعات النسيجية، وكذلك قصب السكر والرياحين⁽¹⁾.

من عناصر العمل الزراعي في العهد الزياني:

■ الأرض:

شكلت الفلاحة أهم القطاعات التي قام عليها اقتصاد الدولة الزيانية، واتخذت منها الشغل الأساسي لبني زيان نظرا لموقعها الإستراتيجي الذي تميز بخصوبة أراضيها الأمر الذي ساعدها في النجاح في هذا القطاع، وكانت الزراعة التي كانوا يمارسونها تجمع بين الزراعة والغراسة والبستنة، فشملت مختلف الأنواع ومثال ذلك: الحبوب، القمح والشعير والأشجار المثمرة، فواكه وخضر⁽²⁾، و الأمر الذي ساعد في نجاح هذا القطاع المناخ الذي يعد أحد أهم العوامل المؤثرة على المحاصيل الزراعية الذي تم ذكرها سابقا، فتنوع المحاصيل الزراعية راجع لتنوع المناخ حيث هناك محاصيل زراعية تحتاج إلى درجات حرارة عالية في زراعتها، و أخرى تعتمد على كميات كبيرة من الماء⁽³⁾.

■ الحصاد:

استعمل في الحصاد المنجل و الأدوات المرافقة له في الحصاد كالتباندة و هي صدرية من الجلد توضع للوقاية من الشوك، و يكون الحصاد في الإستغلايات الصغيرة و الواحات و المناطق الجبلية عن طريق الإقتلاع⁽⁴⁾، أما في الإستغلايات الكبيرة فيتم العمل باستئجار الحصادة مقابل أجرة عينية ومن ذلك أن يأخذ نصيبا من المحصول، و أغطية من خشب أو قصب توضع على أصابع اليد اليسرى وقاية لها من ضربات المنجل، أو نقدية، أو عن طريق التضامن بين القبائل (التوزيع)، ويبدأ العمل من طلوع الشمس إلى الزوال، أما الدرس فاستعملت فيه المدرات و المجرفة و التي تصنع من الخشب الصلب نسبيا كالبقس أو

1 - ابتسام دردقة، عائشة عمامرة، المرجع السابق، ص34.

2 - بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحت إشراف عبد العزيز فيلاي، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة منشوري، قسنطينة، 2010 ص 44

3 - جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص26.

4 - محمد حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الوسيط، جامعة مرقونة، الرباط، 1988، ص84.

الزبوج أو من أخشاب سريعة التشكيل كالأرز و العرعار، في حين استعملت المدرات في نقل أغمار الزرع إلى الأندر وتستعمل أيضا لتصفية الزرع، و عمد الفلاح لمواجهة أي طارئ إلى الإدخار⁽¹⁾.

ب. الرعي وتربية المواشي:

إن أراضي الدولة الزيانية كانت في حقبة من حقبة تاريخها مرتعا ومرعى للحيوانات المختلفة والماشية خاصة الأغنام والأبقار والإبل والخيول والحمير، وتراول من طرف القبائل التي توجد مضاربها ضمن محيط الدولة ويصف ابن خلدون الحياة الرعوية لبعض القبائل ضمن نطاق المغرب الأوسط بقوله: «ويضعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لايتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس ومكاسبهم الشاة والبقر والخيول... وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلاح والدواجن السائمة»⁽²⁾.

تميز العهد الزياني في هذا القطاع بـ:

✓ تربية المواشي: ومن هنا سوف نذكر بعض الأصناف التي كانت شائعة:

الإبل والأغنام والأبقار والخيول والبغال، يقول صاحب الإستبصار "وللمغرب الأوسط مدن كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لخصها وطيب حومها"⁽³⁾. كان سكان المناطق الجبلية يهتمون بتربية المواشي كقبائل توجين ومغراوة⁽⁴⁾ أما قبائل الجنوب فأغلب حيواناتهم المعز والإبل وفيما يخص تربية الخيل والبغال والحمير فيبدو أنها كانت تتم في رعاية سكان السهول والهضاب.

1 - عبد المالك بكاي، العمل الزراعي في أرياف الغرب الإسلامي خلال نهاية العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 04، سبتمبر 2017، ص 45.

2 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 116.

3 - زازو صورية، الرعي وتربية الحيوانات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المرجع السابق ص 130-133.

4 - بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 21.

المسيلة كانت تكثر بها تربية المواشي والبقر وكذلك جزائر بني مزغنة "ولأهل شرشال مواشي وأغنام كثيرة وأكثر، ومراعيها أنجع المراعي وأصلحها للماشية ويذكر أنه يوجد في الشاة من شياهم مائتي أوقية شحما ويصنعون من صوفها أكسية ليس لها نظير في الجودة"⁽¹⁾.

ترى جميع أنواع الحيوانات من الأغنام والماعز والأبقار والجمال والدجاج والإوز والحمام والبغال والحمير، كما كان يتم بيع الماشية بأسعار منخفضة، ولعل السبب الرئيسي لكثرة عدد الماشية يعود بشكل رئيسي إلى توافر المراعي والمياه.

✓ الخيول

إهتم الموحدون بتربية الخيول، وتحسين أنسابها واستجلابها وتبعهم في ذلك الزيانيون خاصة مع إستقرار عرب المعقل وزغبة بالمغرب الإسلامي فنقلوا خبرتهم في تربية الخيول وتحسين أنسابها، وكانت الخيول البربرية⁽²⁾ تتحمل الشدة والمتاعب كما امتاز أهل تلمسان بتزيين خيلهم فكانوا يصنعون لها الألبم والسروج والركاب وجلال الفرس وكلها تمثل عدة الخيل كما أنهم اهتموا بترويضها لإستعمالها في مسابقات الفروسية والألعاب التي كانت تجرى على مستوى المملكة إلى جانب الإستعراضات العسكرية والمناسبات التي يحتفل بها السلاطين.

ومن هنا كثر عدد رؤوس الخيول وكانت تصدر إلى أوروبا كما استعملت كهدايا إلى الملوك وتذكر المصادر، أن الظاهر برقوق ملك مصر أرسلت إليه خيول كهدية فأعجبته وأقدم على شراء مجموعة منها لكي يهجنها ويرعاها وذلك لجودتها وكانت تسمى بالخيول البربرية عندما أراد شراء الخيول مر بتلمسان فزوده السلطان أبو زيان بن أبي حمو الثاني بجياد بلغ عددها ثلاثون جواد ما بين سنتي (797هـ-1394م/801هـ-1398م)⁽³⁾.

وعندما تأخر عليه وصول الخيل من المغرب أراد أن يبعث من أمرائه من ينتقي له ما يشاء بالشراء فعين لذلك مملوكا من مماليكه منسوباً إلى تربية الخليلي إسمه قطلونيا فقام بإرسال هدايا من القماش والطيب

1 - فؤاد طوهارة، المجتمع والإقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني، المرجع السابق، ص82.

2 - يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص66.

3 - زازو صورية، المرجع السابق، ص132.

والقسي لكل من المغرب تونس والمغرب الأوسط سنة (799هـ/1396م) فرجع بالخييل وصاحب تلمسان أمدته بثلاثين جوادا وصاحب تونس أمدته بثلاثين جوادا أيضا، أما صاحب المغرب فأمدته بخمسة وثلاثين جوادا⁽¹⁾.

✓ تربية الطيور:

أما عن تربية الطيور فقد حظيت باهتمام وخاصة تربية الدجاج، وفرت الثروة الحيوانية مجموعة من المواد الإستهلاكية كالشحم والزبدة والسمن وأنواع الألبان والبيض.

✓ تربية النحل:

وجدت تربية النحل بالحقول الزيانية يقول الإدريسي وهران العسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ومراكب الأندلس والعسل كانت تباع منه كميات كثيرة في الأسواق الزيانية إلى جانب المواد الإستهلاكية الأخرى، وهو على نوعين جبلي بري يعيش في الكهوف والأشجار وقد كان منتشرًا عبر مناطق المملكة والثاني هو النحل المستأنس بالتربية في الأجاج⁽²⁾.

✓ صيد الاسماك:

أما الثروة السمكية فقد شهدت إهتماما من طرف السكان القاطنين بالمدن الساحلية مثل وهران، برشك، مستغانم تنس ولم تتواجد هذه الثروة بالمدن الداخلية لبعدها ولعدم توفر وسائل التبريد آنذاك فلجأ السكان إلى تجفيفها وتمليحها وتركها في مكان ظليل وبيعه في أسواق مختصة ببيع السمك بكميات كبيرة⁽³⁾.

ومما لا شك فيه هو أن صيد السمك كان مزدهرا بالسواحل الزيانية ولعل أشهر نوعين من الأسماك جاء ذكرها عن لسان ابن البيطار حيث أنهما من بين أشهر الأسماك صيدا وطعمة لدى أهل المغرب السواحل أولهما سمك يسمى " القنطرة"، ويعرف بالسيبيا ولا يزال هذا النوع متوفرا والنوع الثاني

1 - زازو صورية، المرجع السابق، ص 133.

2 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 272،

3 - العقابي، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، مطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967، ص 124.

يسمى "العم"، وهو سمك السردين المشهور حتى يومنا هذا⁽¹⁾، إضافة إلى صيد الأسماك هناك نوع آخر من الصيد هو صيد المرجان ذكر ابن حوقل أن هذا النوع من الصيد كان بمدينة تنس البحرية وأنه كانت توجد به كميات تبدو معتبرة هذا وقد ذكر المرجان الذي يرمى بالحز ببجاية الذي كان يتوفر على كميات كبيرة: "وهو أجل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار... ويقصد التجار هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات"⁽²⁾.

ج. التعليم:

يعتبر العصر الزياني في المغرب الأوسط من أزهى العصور حيث ازدهرت فيه الثقافة والتعليم، وعرفت الدولة أوج مجدها الحضاري والفكري والعلمي، ويعود ذلك إلى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء قادوا المسيرة العلمية للأمام.

كما تعتبر تلمسان من أهم المراكز الثقافية التي ساهمت في الإشعاع الثقافي وترسيخ قيم الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب الأوسط، فكانت المنافسة على أشدها بين ملوك البلاط الزياني والحفصي والمريني في تقريب العلماء والأدباء من مجالسهم⁽³⁾، لأن سلاطين بني زيان تميزوا بالنزعة العلمية والثقافية والتشجيع الدائم للعلماء والفقهاء والأدباء واستقبلوهم من مختلف الحواضر والأقطار الإسلامية⁽⁴⁾، وكان أول من افتتح هذا الإزدهار الحضاري في المجال الفكري "يغمراسن بن زيان" مؤسس دولة بني زيان، حيث كان يشجع الأدباء ويستقطب رجال العلم إلى دولته، ومن الذين استخدمهم أبو إسحاق إبراهيم بن خلف التنسي (680هـ-1281م)⁽⁵⁾، وهو يعتبر من كبار علماء عصره، حيث كانت الفتاوى تأتي إليه من إفريقية وتلمسان ليحجبه عنها⁽⁶⁾، فقد اهتم يغمراسن بذلك عندما طلب من أبو إسحاق بن خلف التنسي القدوم والتدريس بالجامع الأعظم قائلا له: "ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلادنا تنشر فيه العلم وعلينا ما

1 - الونشريسي، المصدر السابق، ص 47.

2 - زازو صورية، المرجع السابق، ص 133.

3 - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 177.

4 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 319.

5 - جورج مارسيه، تلمسان، الجزائر، مطبعة موتان، ط1، 2004، ص 47.

6 - أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص 61-63.

تحتاج"، بحيث كان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم مما يوضح اهتمامه بالعلم والعلماء⁽¹⁾، فكان حريصا جدا على أن يحيط عرشه بشخصيات من ذوي الخبرة والكفاءات العالية في الشؤون السياسية والإدارية، وعلى رأسهم العالم الكبير "أبو بكر بن الخطاب الأندلسي (686هـ، 1287م)⁽²⁾"، الذي كانت له مكانة علمية مرموقة بين معاصريه وخاصة في الأدب، فاستقبله يغمراسن وجعله كاتب رسائله لسلاطين وأمراء الدول في ذلك الوقت⁽³⁾.

وقد اشتهر بالعلم وكان قريب العلماء خلف يغمراسن بن زيان، كما كان ابنه أبو سعيد عثمان مهتما جدا بالحركة الثقافية فاحتفظ بمن كان في بلاد أبيه من العلماء والفقهاء⁽⁴⁾، أما السلطان أبو حمو موسى الأول فقد جعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر⁽⁵⁾.

كما استقبل الأخوين ابني الإمام "أبو زيد" و"أبو موسى" حيث وفد من مدينة "برشك"⁽⁶⁾، وبني لهم مدرسة بناحية المطهر، كانت أول مدرسة أسست بتلمسان، وبني لهم بجانبها دارين للسكن، وأختمهما بالفتوى والشورى⁽⁷⁾.

اجتهد أبو تاشفين في إرضاء علماء الناحية الشرقية وعلى رأسهم أبي موسى عمران الشدالي (745هـ، 1344م)، واعترف بمكانته العلمية المرموقة مما جعله السلطان يتصدر التدريس بالمدرسة التاشفينية⁽⁸⁾، ونظرا للعدد الكبير من العلماء الذين انجذبوا إلى تلمسان فقد أصبحت تضاهي مدن العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وكذلك أبو الحسن المريني الذي استولى على تلمسان.

عام (737هـ، 1337م)، كان مشجعا للحركة العلمية بحيث بنى مدرسة الولي الشيخ أبي مدين شعيب⁽⁹⁾،

1- محمد الطمار، المرجع السابق، ص 68

2- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص 134.

3- محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 127.

4- ابن مريم، المصدر السابق، ص 225.

5- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج2، ص 321.

6- برشك: هي من مدن المغرب الأوسط في العصر الوسيط تقع بين شرشال وتنس، ينظر ابن حوقل: صورة الارض، بيروت، دار صادر، ط2، 1938، ص 54.

7- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 35.

8- المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تر: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 2004، ج7، ص 499.

9- ابن مرزوق الخطيب، السند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خسوس، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1981، ص 403.

بالإضافة إلى تشجيع السلاطين في عهد بني زيان للحركة الثقافية كان بعضهم علماء وأدباء، مما كان له أثر إيجابي على نشاط الحياة الثقافية أمثال أبو حمو موسى الثاني الذي كان ملما بالعلم⁽¹⁾، حيث ألف كتابا أدبيا وسياسيا لولي عهده سماه واسطة السلوك في سياسة الملوك، بالإضافة إلى دخول أبنائه المدرسة اليعقوبية سنة (765هـ، 1364م)، والتي انكب نحوها نخبة من الأساتذة، كما حضى العلماء وطلاب العلم بعطف هذا السلطان فنال الكتاب والشعراء من كرمه وعطائه⁽²⁾.

كما ساهم السلطان أبو زيان محمد الثاني مساهمة فعالة في الحركة العلمية والأدبية التي كانت تعيشها مملكته، وهو ما صوره لنا التنسي في كتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان قائلا: " فأقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في نظم مجالسها واتساقها، فلاحت للعلم في أيامه للشموس وارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس⁽³⁾."

لم يقتصر تقدير سلاطين بني زيان للعلماء بتلمسان في حياتهم بل تجاوزه حتى الموت، فكان السلاطين يمشون في جنازات العلماء والفقهاء، وكذلك السماح بدفن العلماء في مقابر السلاطين⁽⁴⁾، ونتيجة لهذا التشجيع نشطت المجادلات العلمية بين العلماء ومنهم ما ذكره أبو عبد الله المقرئ الجد (759هـ، 1758م) بأنه حضر مجلسا في عهد السلطان أبي تاشفين، فذكر فيه أبو زيد عبد الرحمن ابن الإمام أن أبو قاسم كان تلميذا للإمام مالك من اتباع حكم مالك، واختلف معه أبو موسى عمران الشدالي الذي قال أن القاسم مطلق الإجتهد، ودافع عنه لأن قاسم خالف بعض ما رواها عن الإمام مالك⁽⁵⁾.

د.النسيج والحياكة: (الصورة 01)

كانت حرفة النسيج إحدى الأنشطة الرئيسية في العصر الوسيط والمجتمع الزياني خاصة، إذ تعد هذه الصناعة إلى جانب الغذاء من أهم الصناعات المقومة لحياة الناس و المجتمعات⁽⁶⁾، وتتمثل إستعمالات

1 - المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، حققه مصطفى السقاو وابراهيم الأبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، ج1، ص 243.
2 - محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 179.
3 - نفسه، ص ص210،211.
4 - بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 227.
5 - لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص134-135.
6 - نصيرة عزرودي، الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، العدد 4، جوان، 2013، ص241.

النسيج في صنع الملابس و الأثاث المنزلي كالفرش و الوسائد و الستائر إضافة إلى الخيام و علة اختلافها لوفرة مادة خام خاصة الصافية منها⁽¹⁾، ناهيك عن ما تتطلبه هذه الحرفة من غسل الصوف وصباغته، ودعك القماش، كما توجد نوعين من الأقمشة، فهناك الأقمشة العادية والأقمشة الراقية، فالأولى تنسج في البيت، والثانية في ورشات خاصة، وأحيانا في البيت، عندما يكون أحد أفراد الأسرة يمتلك خبرة في هذا النوع من العمل، كما نسجت المعاطف والجبة والبرنوس والسترة⁽²⁾.

وقد اشتهرت تلمسان بالمنسوجات فعرف منها القماش التلمساني وهو صوف خالص أو حرير خالص مختم وغير مختم وكان كساء الصوف أو البرنوس من ثماني أوقية لرقته، ومن أنواع الملبوسات أيضا الحرير والملف والثوب الفهري، وقد اشتهرت أيضا بصناعة الزرابي والخياطة والطرز بخيط الذهب والفضة حيث مارس هذه الحرفة النساء في المنازل⁽³⁾.

كما تزخر الدولة الزيانية أيضا بصناعة الجلود أي دبغة الأحذية و كذلك صناعة السروج و خصف النعال⁽⁴⁾، وحرفة الجلد تعتمد على الجلد كمادة أولية يتطلب تقطيعها وخياطتها قوة معينة، كما كانت مهنة رائجة خاصة بين الذكور، وبالنظر إلى قيمة المصنوعات الجلدية فإن باعة الأحذية كانوا يشترون هذه الأخيرة والخفوف بالجملة من الحذائين ويعيدون بيعها بالقطاع وتصدر هذه الأحذية إلى السودان الغربي، وخاصة "تمبكتو"، كالبغلة التي نقلت من تلمسان والخفاف والسندالة، بالإضافة إلى السروج التي كانت لها قيمة كبيرة حيث تم تصدير كميات منها إلى مناطق مختلفة⁽⁵⁾.

و عليه أصبح الزيانيين يتاجرون بما يمتلكونه من منتوجات حرفهم من نسيج وحياسة وخياطة... إلخ ، وتحقيق بها أرباح كبيرة ويعرف ابن خلدون الحياكة بأنها "هي إلحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا"⁽⁶⁾ ، كما كان اهتمام السلطة الزيانية ببعض الصناعات يعود بالدرجة الأولى إلى عائدها المالي الذي تحققه، فقد

1 - يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 89.

2 - محمد الهادي حارش، حول التأثيرات الفينيقية في بلاد المغرب القديم، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 14، جامعة الجزائر، ص 355.

3 - مصطفى علوي، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين (7-9 هـ)، مجلة كان التاريخية، العدد 14، مصر، ديسمبر 2011، ص 88.

4 - مصطفى علوي، المرجع السابق، ص 39.

5 - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، دار الأملية، الجزائر، 2011، ص 168.

6 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 381.

كانت البرانس⁽¹⁾، والأقمشة تصدر إلى المغرب الأقصى والبرتغال وإيطاليا، إلى جانب الزراي والحياك أي الحنابل والأكسية بكميات قليلة، وإلى بلاد السودان بكميات كبيرة⁽²⁾.

ولهذا لعبت الجالية الأندلسية دورا في تطوير بعض الصناعات الجلدية لتصديرها، كالأحذية التي كانت تباع في الأسواق التابعة للدولة الزيانية، حيث كان التجار يشترونها من الورشات الخاصة بصناعاتها ثم يوزعونها على التجار الصغار بالمدن والأرياف وبعضها كان يصدر إلى خارج الدولة الزيانية، فكان الإقبال على أحذية بني زيان في السودان الغربي، وخاصة على البليغة والخفاف والسندالة والسومال⁽³⁾.

هـ. البناء للمسكن:

في مطلع القرن الخامس للهجرة شهدت نهضة عمرانية للمغرب الأوسط الذي شهد ميلاد الدولة الحمادية، والتي تعد مآثرها العمرانية شاهد مادي حقيقي يعكس مدى براعة وخبرة بنائي ذلك العصر بالضبط، فلقد اعتمد بناؤوا الدولة الحمادية في تلك الفترة على نسبة كبيرة من الموارد الطبيعية للمنطقة المساعدة للبناء المصنعة والغير المصنعة مثل: الحجارة وآجر والقرميد والرخام والجص⁽⁴⁾.

تختلف أحوال البناء للدولة الزيانية وأساليبها بحسب ما يتعارف عليه أهله، ويصطلحوه على قدر الغنى والفقير، فمنهم من يتخذ القصور الكثيرة الدور، يبني جدرانها بالحجارة أو الآجر ويلحم فيما بينها بالكلس، ويبالغ في تزيينها بالأصباغ والنقوش وضروب الصناعة المختلفة ومنهم من يكفي ببناء البيوت لنفسه وولده لا يتجاوزه إلى ما سواه لقله ماله⁽⁵⁾، أما بخصوص مواد البناء المستعملة فلم يخرج البناء الزياني على المعتاد على ما هو معروف في عصور سابقة، حمادية ومرابطية أو موحدية، حيث تظهر جليا من خلال مخلفاتهم المعمارية أنهم استعملوا الحجارة والآجر والقرميد والرخام الجص ومواد أخرى عديدة لكن بطبيعة الحال تختلف من حيث طريقة التجسيد والتنميق، وهذا بدون شك راجع إلى التأثيرات الوافدة إلى

1 - البرانس: هو ثوب يطرخ غطاء الرأس منسدلا على الظهر، يلبس في حالة البرد الشديد. ينظر: (ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق)، ص126.

2 - نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص248.

3 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، المرجع السابق، ص93.

4 - جديد عبد الرحيم، نماذج من حرف وصناعات البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين الحمادية والزيانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 11، 2017، ص145.

5 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج2، ص726.

تلسمان خلال العهد الزياني و الآتية من الأندلس والمشرق، حيث ظهرت أكثر تطورا مما عرفت عليه خلال العصر الحمادي، اللافت خلال العصر الزياني هو استعانة ملوك بنو زيان كأبو حمو الأول وإبنة تاشفين في مجال العمارة بالحرفيين والمهندسين والمهرة الأندلسيين، فطلبوا ذلك من أبي الوليد صاحب الأندلس، فبعث إليهم بالصناع والمهرة والحذاق من الأندلس من أجل أن يستجيدوا له القصور والمنازل والمساجد⁽¹⁾، كما لا ننسى الحرفيين والصناع من الأسرى، فلقد استعان بهم سلاطين بنو زيان في مجال حرف وصنائع العمارة، ولربما الدليل رسالة أبي تاشفين إلى الملك أراغون تؤكد وجود أسرى فنانيين صناع وحرفيين مسيحيين بتلمسان⁽²⁾.

✓ صناعة الجبس والجص:

لقد أضحت حرفة الجصاص من أجمل الأساليب الزخرفية في بناءات الدولة الزيانية، حيث تعتمد على مادة الجبس التي كانت تتوفر عليها الكتل الجبلية المحيطة بتلمسان، حيث الصخور الجيرية والكلسية، ليجسدها الجصاص الزياني في أحلى صورة فنية فيها الكثير من معاني الدقة والخبرة ولا أصدق صورة مثل العمائر الزيانية التي جسدت فيها الخبرة في هذا المجال كمحراب جامع أبي الحسن الذي يعتبر آية من آيات زخرفة الجص خلال العصر الزياني وهذا للدقة الكبيرة والتنوع المنقطع النظير لأنواع الزخرفة من كتابية ونباتية وهندسية⁽³⁾، وأن واقع حرفة الجصاص الزياني عرفت إنتشارا كبيرا وتطورا ملحوظا .

✓ صناعة القرميد:

كانت حرفة القرمادين خلال العصر الزياني معلومة الموقع والحال ، حيث أكدت الأعمال الميدانية والأبحاث وما تناقلته المصادر القلمية، أنه كان يوجد بتلمسان مواضع معروفة لصناعة القرميد كباب القرمادين وباب العقبة، حيث وجدت بالقرب منهما آثار لأفران وحطام وفضلات صناعة القرميد⁽⁴⁾، وكانت حرفة القرميد من الحرف المنتشرة والتي كما هو معروف تمر بعدة مراحل، تفنن القرميدي الزياني فيها

1 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج7، ص190.

2 - بوزياني الدرارجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص218.

3 - جديد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص148.

4 - مختار حساني، المرجع السابق، ص96.

بكل مراحلها حتى مرحلة التلوين سواء كان اللون الأحمر والأخضر القاتم، ليغطي بها بصفة خاصة سطوح المساجد والقصور وعمائر أخرى ، ولم تختص سطوح القصور والمساجد منازل السلاطين بالقرميد في تغطيتها بل حتى منازل عامة الناس كانت تغطيها القرميد⁽¹⁾.

✓ صناعة الآجر:

اعتمدت الأعمال الميدانية للمآثر العمرانية الزيانية على استعمال جزئي للآجر، وكمثال مادة الآجر واضحة للعيان، ومن بين هذه الصروح نجد منارة الجامع الأعظم بتلمسان والتي يظهر بجزءها العلوي مادة الآجر كمادة بناء أساسية، وهذا لخفتها وسهولة وسرعة تصنيعها، حيث تشكل هذه المادة زخرفة نحتية ذات سطحين تثري الواجهات الأربعة للصومعة، كما استعان السلطان يغمراسن بالآجر ذو اللون الأحمر من أجل بناء صومعة جامع أغادير وصومعة الجامع الكبير⁽²⁾.

لقد وُصف الآجر على نطاق ضيق إن صح التعبير خلال العصر الزياني، حيث ظهر بقوة على المآذن، حيث استعين به في بناء المآذن وهذا لأسباب منطقية منها خفة وزنه وسهولة العمل عليه ومنظره الجميل المائل إلى الأحمر على العصر الزياني⁽³⁾.

و.الخزف: الصناعة الخزفية في عهد الدولة الزيانية تميزت ب:⁽⁴⁾

- ✓ وفرة الثروة الطبيعية (الطين).
- ✓ وفرة اليد العاملة المؤهلة النشيطة من أصحاب الصنائع والحرف، استنادا لقول الإدريسي: "وبها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد، مما يدل على تنوع الصناعات التي ينتجونها، واختلاف مهام العاملين عليها".
- ✓ أدى أصحاب الصنائع والحرف بإنشاء مصانع ومعامل متخصصة في الصناعات الفخارية والخزفية.
- ✓ إشتهار أراضي الدولة الزيانية بالثروة المعدنية وذكرها في كتب الرحالة منها : الجص بمتوسة

1 - الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بتلمسان عاصمة بني زيان، المرجع السابق، ج2، ص332.

2 - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص240.

3 - جديد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص150.

4 - فرج الله زهيرة، المرجع السابق، ص101.

بالقرب من بجاية.

✓ شهدت الدولة الزيانية ازدهارا من ناحية العمارة وذلك بسبب علاقاتها مع جيرانها، ويظهر ذلك في تباهي أمرائها ببنائهم للقصور والمساجد حيث كانت في قمة الروعة من حيث استعمال المادة الخزفية بأشكالها وألوانها.

2. صنائع أخرى: (الصورة 03)

أ. الحدادة:

انتشرت الحدادة في المغرب الأوسط خصوصا في صناعة المعدات العسكرية بالحديد مثل: السيف والخنجر والسكاكين وغيرهم، وحتى المعدات المنزلية مقص، ملاعق، إبر، أبواب من حديد، نوافذ وأقفال المسامير، المساحي والفؤوس وغيرها من أدوات⁽¹⁾.

تعتبر حرفة الحدادة من بين الحرف التي لها علاقة بالصناعة الحربية نظرا لما ينتجه الحدادون من العديد من أدوات الحرب مثل السيوف والخنجر والدروع والسكاكين والأنصال والسهام بأنواعها المختلفة والأدوات التي تستخدم في الحروب بصفة عامة تعتمد على مادة الحديد ولم تقتصر هذه المهنة على السكان الأصليين فقط وإنما كان للمهاجرين الأندلسيين واليهود دور كذلك في مهنة الحدادة في تلمسان، ونظرا لحساسية هذه الأداة وأهميتها يقوم الحداد باختبار الحديد حيث يقوم بإخراج الخبث منه وذلك بتسخينه والطرق عليه من أجل الحصول على السيوف الجيدة وهي المصنوعة من الحديد النقي، وكانت هذه السيوف بالإضافة إلى الخنجر والسكاكين توضع في أدوات معدة خصيصا لذلك تسمى بالأعمدة توضع فيها لحفظها وللحفاظ على حدتها⁽²⁾.

1 - روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، (د ط)، فريكلن للطباعة، بيروت، لبنان، 1967، ص 132.

2 - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1996، ص 590.

ب. الصناعات الفخارية والخشبية: (الصورة 02)

ارتبطت حرفة الفخار بوجود عدد من الأفران المتخصصة في صناعة الفخار والخزف والقرميد، بمدينة تلمسان وضواحيها، خاصة بالقرب من باب العقبة، ويشير جورج مارسى إلى تراجع هذه الحرفة عما كانت عليه من تطور وازدهار منذ زمن طويل مقارنة بحرف أخرى كالنسيج، ومن المؤكد أن هذه الصناعة قد تأثرت بشكل كبير من خلال فئة الأندلسيين الذين أدخلوا معهم إلى بلاد المغرب الأوسط صناعات جديدة كصناعة الزليج ذو الألوان المختلفة⁽¹⁾.

كما تركت عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت في هذا العصر أثرا كبيرا في تطوير الصناعات الخشبية، بما احتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية، فكانت السقوف الخشبية تغطى بالقصدير وتلون بالأصباغ، والأبواب تغطى كلها بالنحاس الأصفر، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتية، وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأبنوس والصندل والعناب وأصناف الخشب العظيم⁽²⁾.

وقد برز كذلك في القرن (15/هـ/15م) النحت على الخشب بالنسبة إلى الأثاث والخزائن والصناديق وأبواب المساجد، ومن بين الآثار الدالة على هذه المرحلة ثرية مسجد تلمسان التي تعود إلى عهد يغمراسن بن زيان، هذا إلى جانب النحت على الجبس والزخرفة والفسيفساء الفنية التي وجدت على سطوح الحجرات المبلطة بالزليج الملون، وهو ما ذهب إليه الحسن الوزان في وصفه لمدينة هنين التي لا يفصلها عن تلمسان إلا أربعة عشر ميلا بقوله: "ودورهم في غاية الجمال والزخرفة أرضها مبلطة بالزليج الملون، وسفوح الحجرات مزينة بنفس الزليج، والجدران مكسوة كلها بالفسيفساء الفنية"⁽³⁾.

1 - فرحات محمد بكار، الأنشطة الاقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني (ما بين القرنين 7-9هـ)، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية-المرج، مجلة علمية إلكترونية محكمة، 2014، ص 08.

2 - جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ص 215.

3 - فرحات محمد بكار، المرجع السابق، ص 08.

ت. الحلي والمعادن:

ومن المواد الأولية المستخدمة في صناعة الحلي، سواء تلك التي اشتهرت بها المنطقة، أو التي استوردت من دول أخرى نجد: الذهب ومادته الخام هي التبر، وبعد تصفيته وتصنيعه يصبح يسمى بالعين، وتعتبر دول إفريقيا من أغنى المناجم بالذهب والفضة، وتأتي في الدرجة الثانية من حيث التصنيف في صناعة الحلي اللؤلؤ وهو سيد الأحجار، ويستخرج من البحار والأنهار، وهو على عدة أنواع منها الدرة، العذراء وغيرها من أحجار الياقوت والذي يقع على عدة ألوان منها: الياقوت الأحمر. العقيق وهو نوع من الحجارة، وأيضا ألوانه متعددة كالأحمر، الأصفر، الأزرق... الخ، وهو الأكثر جودة، وكذلك الأزرق، أما الأبيض فهو أقل جودة منهما. المرجان وهو نبات بحري. الألماس وهو من الأحجار الكريمة، وأيضا ذو ألوان متعددة. الزمرد وكلما زادت خضرته ازدادت جودته، أيضا هناك الفيروز وهو نوع من الأحجار الكريمة، وأجودها اللون الأزرق. ومن الأحجار الكريمة أيضا نجد الجزع، وهذه المواد كلها كانت تستعمل في صنع الحلي التي كانت ولا زالت تتخذها النساء للزينة⁽¹⁾.

ومن الأساليب التي كانت تستعمل في صناعة الحلي نجد التزيين بالمينا، وهو طلاء زجاجي لامع تزخرف به المعادن، وقد شاع استعمال هذه التقنية في القرن (9هـ/15م)، بحيث دخلت عن طريق الأندلسيين واليهود إلى المناطق الساحلية كتلمسان، الجزائر وبجاية، ثم انتقلت إلى المدن الداخلية، فالطلاء بالمينا خاصة تميز الحلي في المغرب خاصة الفضة، بحيث يقوم الصائغ بتركيب أجزاء الحلي وترصيعها ثم سكب سائل المينا في الأماكن الفارغة ويجفف في الهواء، وبعد أن يجف نوعا ما يقوم بإدخاله إلى الفرن لإتمام عملية التجفيف النهائية ليظهر لمعانه وشفافيته⁽²⁾.

فيما يخص النحاس لقد عرف المغرب الأوسط ورشات لصناعة الحديد والنحاس، واشتهرت هذه الصناعة عند اليهود، خاصة النحاسية منها، إذ كانوا يصنعون من النحاس الشمعدان الذي يمثل رمز الحياة عندهم، ومن بين الزخارف التي ترسم على النحاس هي الأرييسك، الذي يتكون من عناصر نباتية وزهرية متشابكة متكررة وغير محدودة، أحيانا تضاف إليها أشكال هندسية كالمربع والمثلث، لتصبح بذلك أشكالا

1 - عبد الرزاق القيسي، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج، الأردن، 2009، ص84.

2 - عبد الرزاق القيسي، المرجع السابق، ص130.

نجمية مزخرفة بطريقة فنية رائعة فالملاحظ لهاته الزخارف يتذكر الزخرفة الهندسية الموجودة على مآذن مدينة تلمسان ، كما نجد هذا الفن في الأواني النحاسية كالدلاء والقدر والأباريق، وكذلك في الثريات التي تستخدم في تزيين المساجد والقصور، والتي كانت تغطي بصفائح نحاسية صغيرة، كتلك الصفائح النحاسية التي كانت تكسو ثرية المسجد الكبير، وهي الآن موجودة في متحف وأنها راجعة لفترة حكم يغمراسن، وتمثل هذه الآثار موروثا نفيسا، يعكس مدى التطور الذي عرفه حربي المغرب الأوسط خلال القرون الوسطى⁽¹⁾.

ث. صناعة السفن:

يعتبر التوجه البحري لأي دولة واجهتها الحربية ونشاطها الاقتصادي، من خلال امتلاكها لأساطيل عسكرية ومراكب تجارية للدفاع عن نفسها وتقوية مداخلها.

نشطت حركة بناء السفن الحربية والتجارية في عهد دولة بنو عواد بشؤون البحر لوقوع معظم ثغورهم على المحيط الأطلسي، فكان لهم أسطول تتوزع قطعة البحرية فيه بكثرة خاصة عند مصب نهر الوادي الكبير وفي مياه شلب، ويبدو أن داري صناعة إشبيلية وشلب كانتا تنتجان أعداداً كبيرة من السفن في عصر بني عباد، ومما يؤكد ذلك أن الخشب بجبال شلب كان يحمل منها إلى سائر أنحاء إشبيلية لصناعة السفن⁽²⁾.

كما اعتبرت صناعة السفن خلال الفترة الوسيطة من الصناعات الإستراتيجية والتي تسهر الدول على إقامتها والاهتمام بها، وبرزت دور الصناعة في المغرب الأوسط بداية من القرن الخامس هجري ثم السادس هجري، وانحصرت في المدن البحرية الكبرى كما هو الشأن في بجاية ووهران، وبونة، وجزائر بني مزغنة⁽³⁾.

1 - نفسه، ص131.

2- جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ، الجامعة الأردنية، 1994، ص111.

3 - علي عشي، دور الصناعة البحرية في المغرب الأوسط بين البحث الأثري و التقصي، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، العدد17، ص12.

انتشرت بالدولة الزيانية العديد من الحرف والصناعات القائمة على النشاط اليدوي التقليدي، مثل صناعة الجلود ، وصناعة النسيج ، وصناعة الأخشاب ، وصناعة الملابس ، وصناعة الإمدادات والنقل مثل المركبات والسفن، والخيول والإبل ، وصناعة الأدوات الزراعية والمنزلية ، و صناعات السيراميك والزجاج والأسلحة والبراغي والمسامير والأدوات الزراعية، بحيث انخرط عدد كبير من الحرفيين والحرفيات في المدينة في هذا النشاط ، حيث تحمل أزقتهم أسماء حرفهم ، بينما وجدت حِرَف أخرى مكانها في الوديان والريف مثل صناعة السجاد والأدوات الفخارية الأمر الذي كان يجذب في السابق عددا كبيرا من اليد العاملة الحرفية.

المبحث الرابع: التنظيمات الحرفية ونظم الحكم في النشاط الحرفي في المغرب الأوسط:

1. الطوائف الحرفية:

تضمنت الطوائف الحرفية مجموعات نشطة في الحرف والصناعات، والتي ظهرت تحت أسماء عديدة منها أرباب الصنعة، الطوائف الإسلامية، والأصناف، وأصحاب المهن، وأصحاب الحرف، على الرغم من هذا التباين والإختلاف في التسمية، إلا أنها تخضع لنفس النظام.

وإذا أردنا تعريف الطوائف الحرفية نقول أنها مجموعة من الأشخاص أو الأصناف، تظم أصحاب المهنة الواحدة في سوق واحدة تحمل اسمها وتمارس نشاطا حرفيا واحدا⁽¹⁾، لها نظام وأسس وقواعد تسيير عليها، ضف لذلك أن لكل طائفة حرفية عادات وتقاليد ونظام خاص بها حسب طبيعة النشاط الممارس، يخضع لها أصحابها والمنتظمون في سلكها⁽²⁾، والمقصود هنا أصحاب الحرف وأهل الصنائع، يتأسس هذه الطائفة أمين يكون مشرفا على أرباب كل صنعة من الصنائع، يتولى أمورهم وإنشغالهم وفك نزاعاتهم، كما يسعى أيضا لتنظيم العلاقة فيما بينهم وبين السلطة وكل ما يتعلق بمجال صنعتهم⁽³⁾.

أ. أنواع الطوائف:

- طائفة الفلاحين:

وهم من كانوا يمارسون الأنشطة الزراعية، والعامل الأول في ازدهار هذه الحرفة هو توفر الأراضي وخصبة تربتها ما ساعد على انتشار هذه الطائفة⁽⁴⁾.

- طائفة صانعي الثياب:

تضم هذه الطائفة عدة حرف التي تعمل على تحويل المواد الخام إلى ملابس بمختلف أنواعها⁽¹⁾، و وجدت في عدة مدن مثل بجاية التي كانت تصنع العمائم⁽²⁾، ويذكر الوزان أن أسواق هذه المدينة كانت

1 - عبد العزيز الدوري، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد 01، 1959، ص 133.

2 - محمد غنيم محمد عطية الصياد، الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في عصر الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الزقازيق، مصر، 2006، ص 31.

3 - خولة نواري، البنية التنظيمية للطوائف الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، مجلد 16، عدد 01، 2018، ص 120.

4 - حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص 348.

منظمة وأسواقها كذلك منسقة أحسن تنسيق⁽³⁾، وبجاية كغيرها من مدن المغرب الأوسط كانت الصناعات بها موزعة على مختلف الساحات والأرقة، وبها الكثير من الحرف والمنسوجات المتنوعة، ويذكر ابن مرزوق الخطيب (780هـ/1380م) أن درب سيدي شاكر في تلمسان من أهم الأماكن المخصصة في صناعة الملابس الصوفية⁽⁴⁾.

– طائفة البنائين:

نتج عن التنوع في البناءات بالمغرب الأوسط من مساجد و قصور و مدارس عدد كبير من الصناع والعمال بالبناء سواء بناؤون، صانعو الآجر و الطوب، الفخار وغيرها⁽⁵⁾.

– طوائف أخرى:

هناك العديد من الطوائف الأخرى مثل العطارون وهم صانعو العقاقير والأعشاب وجماعة الرحوية، وانتشرت هذه الطائفة في المغرب الأوسط، طائفة السراجين القصابين السفاجين⁽⁶⁾، يذكر ابن الأحمر عن تواجد حرفة الاسكافيين في تلمسان الخطابين، العشابين والفحامين والخراطين بمليانة كل هذه الحرف كانت تمارس خارج الأسواق⁽⁷⁾.

2. الحسبة:

هي نظام رقابي تصحيحي لتصرفات العامة والخاصة من خلالها يمكن الإشراف على المرافق العامة والخاصة وترتيب العقوبات المختلفة على المخالفين للنظام العام داخل المدينة فهي نظام شامل لكل أمر بالمعروف وناهي عن المنكر، و يعرفها عبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1406م)⁽⁸⁾ "وعفت أيضا

1 - نفسه، ص 349.

2 - مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، المصدر السابق، ص 130.

3 - حسن الوزان، المصدر السابق، ص 50.

4 - إيمان عبادي، المرجع السابق، ص 82.

5 - حسن علي، المرجع السابق، ص 348.

6 - أبو عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تر: محمد العنابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس 1967، ص 122.

7 - ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص 285.

8 - بلحاج طرشاوي، الحرف والمهنة في المغرب الأوسط من خلال كتاب الحسبة دراسة في تحفة الناظر للإمام العقباني، مخبر البحوث الإجتماعية و التاريخية، العدد4، جوان 2013، ص 349.

بالكفاية فيقال احتسب بكذا اكتفى به⁽¹⁾، وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له... ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل: المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل والحكم على كل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة⁽²⁾، وهي نظام يرتبط بالجانب الإقتصادي والأسواق وعرفت أهمية كبيرة في عهد المرابطين والموحدين وبلغت أقصاها في العهد الزياني خاصة عهد السلطان أبو حمو الزياني الثاني فاعتنى كثيراً بالمحتسبين وترك وصية لابنه أبا تاشفين يستوصيه بأن يعتني بالحسبة وأصحابها، و يقول عبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1406م) عن اختيار المحتسب: "يجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً خيراً ورعاً عالماً غنياً نبيلاً عارفاً بالأمور محنكاً فطنا لا يميل لا يشتري فتسقط هيئته ويستخف به لا يعبا به و يتوخى معه المقدم له⁽³⁾".

إذا يمكننا القول أن نظام الحسبة نظام يعتمد على الرقابة على مختلف المجالات، كما يقوم بحماية

الثروة ومصادرها.

1 - أحمد صبحي منصور، الحسبة دراسة أصولية تاريخية، المركز العربي المصري، ط1، مصر، 1995، ص7.

2 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص220.

3 - أحلام برياشي، المرجع السابق، ص74.

الفصل الثالث: تأثيرات الحرف والصناعات في

الدولة الزيانية

المبحث الأول: التأثيرات السياسية.

المبحث الثاني: التأثيرات الإقتصادية.

المبحث الثالث: التأثيرات الإجتماعية.

المبحث الرابع: التأثيرات العمرانية.

الفصل الثالث: تأثيرات الحرف والصناعات في الدولة الزيانية

المبحث الأول: التأثيرات السياسية:

تميزت الدولة الزيانية طيلة ثلاث قرون من الزمن في الساحة المغاربية بحكم موقعها الإستراتيجي، فنجد أنها نقطة التقاء وهمزة وصل بين الدويلات المجاورة خاصة دول العالم الإسلامي، إضافة إلى جنوب غرب السودان والدول الأوروبية، وبالتالي فإن موقعها خلف لها علاقات سياسية، تجارية معهم، فنجد أن صادرات تلمسان كانت تصل إلى كل بلاد العالم سواء في أوروبا أو المشرق، فقد تنوعت صناعاتها وحرفها كثيرا، هذا ما جعلها محط أنظار الكثير من المنافسين لها والذين أرادوا امتلاكها ونسبها إليهم، وهذا ما سوف يتم التطرق إليه في ما يلي:

1. العلاقات مع دول العالم الإسلامي:

أ- العلاقات السياسية مع بني مرين:

رغم طابع الصراع الذي ميز العلاقات السياسية بين بني عبد الواد وبني مرين بعد اختفاء الدولة الموحدية⁽¹⁾، والتي كان لها دورا أساسيا في توتر العلاقات والتي نتج عنها نزاع حربي، فقد استغل الموحدون تقرب كلا الطرفين منهم باعتبارهما يشكلان قوة داخل بلاد المغرب. وبذلك قاموا بإشعال نار الفتنة بينهما وقد برز ذلك في سنة 540هـ/1145م، حيث حرض الموحدون بني زيان على المشاركة معهم في الحرب ضد المرينيين، والذي ترتب عنها مقتل شيخ بني مرين⁽²⁾، كما قامت في موضع آخر بزعامة الخليفة السعيد بتشجيع المرينيين للقضاء على بني زيان عندما خرجوا عن طاعة الموحدين، وبعدها ظلت دولة الموحدين تتحكم في تسيير العلاقات السياسية بين بني مرين وبني زيان إلى آخر أيامها زمن الخليفة الموحدي إدريس الملقب بأبي دبوس الذي طلب نجدة بني زيان لإنقاذ الملك من أيدي المرينيين، وترتب على ذلك حرب بينهما عند وادي تلاغ سنة 666هـ/1286م⁽³⁾، انتهت بهزيمة بني زيان.

¹ - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص 251

² - يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني زيان، المصدر السابق، ج 1، ص 189

³ - إسماعيل بن يوسف الخزرجي الغرناطي، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، ط 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ/2001م، ص 65 - 66.

كذلك تعد مملكة بني الأحمر بغرناطة من أبرز العوامل التي كان لها أثر واضح في العلاقات السياسية بين المرينيين والزيانيين، خاصة عندما توسع نشاط بني مرين في بلاد المغرب والأندلس⁽¹⁾، وبالتالي قاموا بتوثيق علاقاتهم مع الزيانيين منذ ذلك الخطر، بعدها اشتعلت الفتنة بينهم حتى وصلت للحملات الحربية والهجمات وتدخل أطراف سياسية من بينهم النصارى الذين تحالفوا مع ابن الأحمر ضد الدولة المرينية، وبهذا فقد أصبحت تلمسان مهمته. إضافة إلى ذلك نجد أن من أهم الخلافات السياسية التي كانت بين بنو مرين وبنو زيان هي محاولة السيطرة على المراكز التجارية المهمة في المغرب الأوسط والأقصى، مثل مدينة سجلماسة التي كانت من أهم تلك المراكز المهمة، والتي حاول كلاهما السيطرة عليها⁽²⁾.

خاصة أنها باب الصحراء إلى بلاد السودان وبلاد الذهب، فهي محطة سياسية للقوافل الآتية من السودان والذاهبة إليها، إضافة إلى أنها تتفرع إلى اتجاهين: الأول نحو فاس ومنها إلى سبتة، والثاني إلى تلمسان ومنه إلى مرسى وهران ومرسى هنين⁽³⁾.

كان إخضاع مدينة سجلماسة يمثل للمرينيين أمراً ضرورياً على المستوى الإقتصادي فالمدينة كانت توفر إمكانيات مهمة لتصريف السلع المغربية نحو السودان، وجلب المواد الأساسية التي كان الأوروبيون يهتمون بها، وكان التجار المرينيون يحملون إلى السودان السلع النسيجية والأقمشة والجلود، ويجلبون منها الذهب والصمغ وجلود الفنك وغيرها عبر مدينة سجلماسة⁽⁴⁾.

ثم تحمل هذه البضائع إلى فاس وسبتة التي تصدرها إلى أسواق الأندلس وإلى أوروبا، كما أن التجارة مع السودان شكلت أهم المصادر التي اعتمدت عليها دولة بني زيان.

وبالتالي في ظل الصراعات التي كانت قائمة بين المرينيين والزيانيين لا يدل على أنه لم تكن بينهما علاقات تجارية، خاصة بوجود مسالك تربط بينهما، أما فيما يخص نوعية السلع التي كانت تتبادل بينهما، فمن أبرزها نجد أن الدولة الزيانية تستورد من بني مرين القطن والسكر وغيرها ومن صادراتها الحنابل والصوف⁽⁵⁾.

1 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1999، ص 305.

2 - المصدر نفسه، ص 306.

3 - مصطفى أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبنو مرين، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1982، ص 307.

4 - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص 254.

5 - خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 255.

ب- العلاقات الزيانية مع الأندلس:

كانت لمدينة تلمسان عاصمة الزيانيين صلات وثيقة ببلاد الأندلس، ولاسيما بغرناطة، وقد حصل بين الجانبين تأثر متبادل ومتواصل، مما ساهم في إثراء حضارة القطرين منذ قرون عديدة.

غير أن صلات تلمسان بالأندلس لم تبلغ أوجها، إلا عندما تأسست الدولة الزيانية سنة (633هـ/1235م)⁽¹⁾، فكانت العلاقات قائمة بالدرجة الأولى مع غرناطة في عهد ملوك بني نصر، وقد تضافرت العوامل لتوطيد هذه العلاقات بين تلمسان وغرناطة وإرسائها على أسس متينة، إذ أن هناك تشابها كبيرا بين المدينتين من حيث موقعهما الجغرافي ومناخهما، وكونهما عاصمتين لدولتين تم تأسيسهما وازدهارهما في نفس الفترة، ولعبتا دورا هاما في تاريخ المنطقة خلال فترة حاسمة، صادفتها المنافسة الطويلة المدى التي قامت بين دول المغرب الثلاث، الحفصية، والزيانية، والمرينية، وتطلع المرينيون خاصة إلى توسيع نفوذهم وسلطتهم عبر سائر أقطار المغرب الإسلامي، كان لها أثر ملحوظ في تقارب ملوك تلمسان وغرناطة في المجال السياسي وتحالفهم في مناسبات عديدة وارتباطهم الوثيق في جميع المجالات⁽²⁾.

ومما دعم هذا التقارب أن كلتا الدولتين عرفتا تقلبات سياسية عديدة، واستهدفتا لأخطار مختلفة، فكانت النجدة بينهما متبادلة، والتعاون مستمر من الجانبين⁽³⁾.

لم يخفف من متاعب الدولة الزيانية سوى تأييد ملوك غرناطة لما كانوا يخشونه من أطماع بني مرين في ملك الأندلس. كما فعل المرابطون والموحدون من قبل، ومن ثم عمل بنو نصر على تأييد بني زيان بشتى الوسائل ضد المرينيين.

وكان من نتائج هذه السياسة، أن ارتبطت تلمسان بعجلة غرناطة في مختلف الميادين السياسية والحضارية، حتى صار لها طابع أندلسي نلمسه بوضوح في مساجدها ومدارسها وميادينها، وقد ساعد على تدعيم هذه الروابط أن معظم ثغور الدولة الزيانية كانت عامرة بالجاليات الأندلسية من قديم، بل إن بعضها كان من

1 - ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص302

2 - المصدر نفسه، ص302

3 - المصدر نفسه، ص304.

بنائهم ومن أهم تلك الثغور نذكر هنين التي تقابل المرية⁽¹⁾ في شرق الأندلس، ووهران التي بناها الأندلسيون، ومستغانم التي تقابل دانية في شرق الأندلس⁽²⁾.

ولهذا كانت العلاقة محكمة ووطيدة بين البلدين تبادلت فيها السفارات والهدايا والمراسلات السلطانية⁽³⁾.

ومما يؤكد تواصل العلاقات السلمية وجود وثيقتين الأولى رسالة وردت على بلاطات تلمسان في شهر رمضان سنة (767هـ/1366م) من طرف محمد الغني بالله سلطان مملكة بني نصر من إنشاء وزيره لسان الدين بن الخطيب إلى أبي حمو موسى الثاني سلطان دولة بني زيان ليستنجد به لنصر المسلمين في الأندلس ضد خطر خطة نصرانية ترمي إلى القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس نهائيا⁽⁴⁾، والرسالة الثانية بعثها السلطان الغني بالله إلى أبي حمو الثاني أيضا من إنشاء لسان الدين بن الخطيب يشكر ويمدح فيها أبا حمو بما قدم من الأموال الضخمة والسفن المشحونة بالخيول والسلاح.

وبالتالي فإن تحالف الدولة الزيانية مع مملكة غرناطة بالأندلس مهد لظهور المملكة الإسلامية بالأندلس في تلك الفترة بمظهر قوة هائلة لم تعرف منذ زمن بعيد⁽⁵⁾.

ت- العلاقات الزيانية الحفصية:

لقد تميزت العلاقات بين الدولة الزيانية والدولة الحفصية في مجملها بالصراع والتوتر الدائم، وذلك راجع إلى الرغبة الجارحة للدولة الحفصية في بسط نفوذها على حساب الدولة الزيانية. إذ أن هذه الأخيرة كانت تطمح فقط إلى فك الحصار المضروب عليها شرقا وغربا ودليل ذلك أن العرش الزياني كان عرضة للاحتلال لمدة تزيد عن 12 عاما⁽⁶⁾، وقد كان بنو حفص ينتهزون في كل مرة الضعف السياسي للدولة الزيانية ويقومون ببسط نفوذهم على شرق المغرب الأوسط ويحتلون بذلك العديد من الأقاليم خاصة وأن هذه الأقاليم تتميز بالخيرات إذ أنها

1 - محمد بن تاويت الطنجي، التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا، عارضه بأصوله وعلق حواشيه: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م، ص 98..

2 - القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ج 5، ص 150.

3 - يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المصدر السابق، ج 2، ص 1870.

4 - وردت رسالة لسان الدين ابن الخطيب الأولى في كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ليحيى بن خلدون، ج 2، ص 170، ووردت به كذلك

الرسالة الثانية وهي أيضا من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب في نفس الجزء، ص 174-181.

5 - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج 2، ص 51-52.

6 - محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543م)، تصدير: ناصر الدين سعيدوني، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 85.

منطقة سهول وهضاب تتميز بكثرة الوديان ووفرة الأمطار، إضافة إلى توفرها على العديد من الممرات والطرق التجارية لذلك كانت هذه الأخيرة محل أطماع سواء على مستوى بلاد المغرب أو على مستوى العالم الأوروبي⁽¹⁾.

كما كانت الدولة الزيانية تعاني اضطرابات سياسية داخلية، إذ ثارت عليها القبائل البربرية على نظام الحكم مكنها من الحصول على امتيازات كبيرة وبسط نفوذها على العديد من الأراضي، ومازاد من صعوبة الأوضاع عندها هو انضمام العديد من القبائل النائرة إلى الدولة الحفصية والتحالف معها، يضاف إلى ذلك قيام الدولة الزيانية بحركات توسعية على حساب الدولة الحفصية وبالتالي دخول منطقة الشرق الجزائري في مرحلة المد والجزر بين الدولة الزيانية الحفصية، مما أزم العلاقات وجعل المصالح الذاتية لكلاهما يؤثر حتى على روابط الدم والعقيدة⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى نجد أن الدولة الزيانية والحفصية بالرغم من الصراع السياسي الذي استمر بينهما لمراحل مختلفة، إلا أن مدينة تلمسان كانت تمثل مركز تجاري مهم نظرا لموقعها الجغرافي ولم ينقطع عنها التجار حتى في الأوقات العصيبة فقد كان التجار يتزودون منها بمنتجات بلاد السودان مثل العاج والذهب وغيرها، ولم تقتصر حركة تجار تلمسان على جهات الصحراء فقط بل كانت تقوم بدور الوسيط مع الأسواق الأوروبية عبر موانئ المرسى الكبير وميناء وهران وهنين، التي لعبت دورا كبيرا في إنعاش حركة تجار تلمسان على الحركة التجارية بهذه المملكة⁽³⁾.

فلم تختلف صادرات تلمسان للدولة الحفصية كثيرا من صادراتها لجنوب غرب السودان، والتي كانت تنتقل عبر الموانئ الغربية والشرقية للجزائر، وإن من أهم الطرق المسلوكة عادة سواء كان الأمر متعلقا بالتجارة أو بأسباب أخرى من التنقل، كانت تتمثل في الطريق الرابط بين أهم المدن الساحلية أو القريبة منه، فمن الغرب الأوسط إلى بجاية ومن بجاية إلى تونس، فكانت الطريق تمر عادة من قسنطينة في اتجاه عنابة ثم تتبع وادي مجردة، ونظرا لأن تونس عاصمة الدولة شكلت آنذاك قطبا سكانيا هاما ومستهلكا للمواد الغذائية⁽⁴⁾، فكانت تستورد القمح والتين والجوز ومن الصناعات كانت تستورد الصوف والقطن والكتان وغيرها، والتي كان يستعملها الحياطين في صناعة أجود الأقمشة القطنية والحريرية وغيرها.

1- ابن الأحرر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، المرجع السابق، ص 9-10.

2- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 18.

3- محمد دراج، المرجع السابق، ص 96.

4- روبر بارنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15هـ، تع: حمادي الساحلي، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص 244.

2. العلاقات السياسية مع جنوب السودان الغربي:

تمكنت تلمسان في العصر الوسيط الزياني من نسج علاقات تجارية مميزة مع السودان الغربي، مستفيدة من الموقع الجغرافي للمدينة التي كانت مركز إلتقاء لثلاثة اتجاهات أساسية في حركة التجارة الإقليمية شرقا و شمالا و جنوبا، مستغلة الفراغ السياسي الذي تركته دولة الموحدين في توسيع حدودها السياسية و التجارية نحو سلجماسة. مدعمة في كل ذلك بتنوع انتاجها المحلي و العابر في الوقوف بثبات في ترسيم الخارطة التجارية نحو السودان الغربي⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك نجد أن الموقع الجيوسياسي لتلمسان مكنها من أن تكون قطب تجاري لا غنى عنه. خاصة أنها جمعت بين الصحراء و البر و البحر و موقعها الجغرافي يسمح لها بأن تكون منطقة وسيطة بين الصحراء وبلاد السودان من جهة الجنوب و بين المشرق العربي من جهة الشرق، و كذلك أوروبا و أميريا بالأندلس من جهة الشمال، في ملتقى ثلاثة اتجاهات أساسية كانت تسيطر في القرن السابع و الثامن الهجريين على الموارد التجارية، و كذلك النشاط الإقتصادي المميز لتلمسان و تنوع الحرف و الصناعات الموجودة فيه و استقرارها السياسي، إذا ما استثنينا بعض التقلبات التي حدثت من قبل الدولة المرينية لكن تلمسان كانت على العموم تعيش حياة مستقرة وآمنة⁽²⁾.

أما السودان الغربي كذلك كان فضاء جغرافي مميز بحكم الموقع المهم الذي تحتله البلاد و امتلاكها للموارد الاقتصادية البالغة الأهمية كالذهب و الرقيق الذي كان يتواجد في كل بلاد السودان وليس الغربي فقط، و غيرها من المعادن التي كان التجار يستخدمونها في حرفهم وصناعاتهم⁽³⁾.

وبالتالي قد أدى هذا العامل المهم لكل من الدولتين إلى خلق التنافس التجاري، وتنوع السلع التي كانت يتم الإتجار فيها، وكان هذا التنوع محكوما بطول الرحلة التي كانت تستغرق ما بين سبعين وتسعين يوما، مما يعني أن السلع سريعة التلف، لم يكن نقلها عبر الصحراء، ومن بين السلع التي كانت تصدرها الدولة الزيانية نحو السودان الغربي نجد⁽⁴⁾ :

1 - عبد القادر نوري دريد، ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن 5/11م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 21، الكويت، ص113.

2 - المرجع السابق، ص114.

3 - نفسه، ص120.

4 - محمد أبي رأس ناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمد غالم، المركز الوطني للبحث، ج1، ص28.

القمح:

لقد جعلت الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ للمغرب الأوسط ، أن يتوفر على إنتاج وفير من الحبوب "القمح" على عكس السودان الغربي الذي كان يفتقد إلى هذه الظروف، فلم يكن القمح غذاء منتشرا بين الفئات الاجتماعية كلها بل كان يستهلكه الأثرياء من سلاطين وملوك وتجار لأن ثمنه مرتفع وقد بيع في القرن الرابع عشر بمدينة تاكدة بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلاد المغرب⁽¹⁾.

النسيج:

اشتهرت مدينة تلمسان بصناعة الصوف، حيث يذكر المرزوقي أن ملوك إفريقيا و المغرب أنهم يلبسون حينئذ ما كان يعمل في تلمسان من رفيع الصوف وازدهرت في عدد من المدن صناعة الأقمشة القطنية والكتانية والصوفية والحريرية وكانت مختلف الأقمشة تصدر إلى بلاد السودان الغربي من الأقمشة القطنية فكانت قطعة قماش من ذراع وستة أشبار تساوي مثقال واحد من الذهب⁽²⁾.

النحاس:

كان التجار يدخلون بلاد السودان الغربي محملين بقناطر من النحاس الأحمر و الملون حيث كانت المصنوعات النحاسية من بين صادرات الدولة الزيانية إلى بلاد السودان الغربي، حيث كانت تمر قوافل النحاس عبر الواحات لتصل إلى أسواق بلاد السودان الغربي⁽³⁾.

الملح:

يأتي تصدير الملح إلى بلاد السودان الغربي في المرتبة الأولى بسبب الندرة و ارتفاع ثمنه خاصة بعد تزايد طلب السودانين عليه، فأصبح تجار الدولة الزيانية يحصلون من بيعه على أكبر كمية من الذهب فقد كان سكان بلاد السودان الغربي يدفعون ثمن الملح ذهباً، ونفس الوزن، وكانت مدينة تغازة هي المصدر الرئيسي له⁽⁴⁾، حيث ذكر القرويني أن عمل أهل تاغازا يتمثل في جمع الملح طول السنة تأتيهم القوافل في كل سنة مرة يبيعون الملح ويأخذون من ثمنه قدر نفقاتهم، وكان الحمل من الملح يباع بعشرة مثاقيل إلى ثمانية و بمدينة مالي بثلاثين مثقالاً إلى عشرين و يصل حتى أربعين مثقالاً فكان سكان بلاد السودان الغربي يتصارفون بالملح كما يتصارفون بالذهب

1- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، المرجع السابق، ص 329.

2- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 217.

3- مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 325.

4- زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الإنجلومصرية، القاهرة، 1967م، ص 181.

والفضة ، وازدادت أهميته بالنسبة لتجار بلاد الغرب الأوسط باعتبار أنه السلعة الوحيدة التي يمكن أن تسدد ثمن الذهب المجلوب من السودان⁽¹⁾.

كما كان الخيل من أهم الصادرات إلى بلاد السودان الغربي باعتبار ظروف تربيتها في بلاد السودان غير ملائمة ، إضافة إلى ثمنها المرتفع حيث في بعض الأحيان يصل ثمن الحصان الواحد خمسة عشر عبدا، بالإضافة إلى الجمال، والبغال التي كانت مطلوبة بكثرة في الصحراء بسبب ضخامتها و قوتها حيث كان البغل الواحد يباع بخمسة عشرة إلى عشرين عبدا، بالإضافة إلى الأسلحة المختلفة للدفاع والهجوم والكتب المخطوطة و المنسوخة وبضائع الإمارات الأوروبية كالبندقية وميلان وبرشلونة، كما كانت العطور من السلع المصدرة إلى بلاد السودان الغربي، و التمور حيث ذكر الإدريسي كانت تمر أوجلة أكثر فتمور ودان أطيب ومنها يدخل إلى السودان⁽²⁾.

3. العلاقات السياسية مع الممالك المسيحية:

أ- مع شعب الجزيرة الإيطالية:

كانت شبه الجزيرة الإيطالية مقسمة إلى عدة جمهوريات، ومن أهمها فلورنسا ونابولي وميلانو والبندقية وجنوة وبيزة، وكان العداء شديدا بينها تحركه المطامع التجارية خاصة وأنها كانت تستعد للدخول في عصر النهضة، وعلمت على حيازة مكانة تجارية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ماسمح بوجود علاقات مع بلاط المغرب الأوسط⁽³⁾.

وبالتالي فقد كانت العلاقات بين الطرفين لم تخرج من الإتفاقيات والمعاهدات التجارية وأن التجارة هي الرابط الوحيد الذي كان بينها، فقد حتمت المصلحة الإقتصادية أن تكون العلاقات ودية وسلمية وحتى أن هذه العلاقة بقيت مستمرة حتى بعد الغزو الإسباني وإحتلال ميناء المرسى الكبير (911هـ/1505م) وميناء وهران (915هـ/1509م)⁽⁴⁾.

فقد كان أغلب القناصل تجار تعينهم حكوماتهم طبقا للاتفاقيات المبرمة مع الدولة الزيانية وكان لكل جمهورية إيطالية أكثر من قنصل يمثلونهم في المدن الساحلية المهمة مثل وهران وهنين والمرسى الكبير، حيث أن السلاطين الزيانيين كانوا يتركون حرية التصرف للإمارات الإيطالية لتعين من يدير شؤون الكنائس في الإمارة وكان

1 - زكرياء بن محمد محمود القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار ناشر للنشر والتوزيع، بيروت، ص26.

2 - الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، ص312.

3 - فاتح مزردى، مظاهر العلاقات السياسية مع الأندلس والغرب المسيحي، مجلة دراسات وأبحاث، المجة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019م، ص95.

4 - فاتح مزردى، المرجع السابق، ص95.

التقليد يأتيهم من أساقفة مدتهم بإيطاليا، وكان القناصل يسكنون الفنادق ويلعب القنصل دور الوساطة بين الجالية الإيطالية المسيحية والسلطان الزياني، أما الفندقية فكان مندوبا للقنصل، وكان أغلب القناصل التجار تعينهم حكوماتهم طبقا للاتفاقيات المبرمة مع الدولة الزيانية⁽¹⁾.

وكانت تجارة فلورنسا نشطة ومنتظمة في موانئ بلاد المغرب الأوسط خاصة في النصف الثاني من القرن 15م، فكانت بواخرها تخرج من ميناء بورتوبيزانو تتجه نحو جنوة ثم الجزائر لترسو مدة ثلاث أيام وبعدها تتجه نحو وهران تتوقف ستة أيام نحو هنين لتمكث ثلاث أيام⁽²⁾.

ومن نشاط الحركة التجارية بين بيزة وتلمسان فيبدو أن ميناء وهران بدأ في إستقبال البيزين منذ (686هـ/1186م) أين وصل تاجر بيزاني "قوالدو رينوشي" جمع زمالة قيمتها 150 فلورين يشتري بها سلعا من بلاد المغرب.

أما جنوة فقد قل نشاطها مع مدن الغرب الأوسط، لعدة أسباب أهمها ظهور القوة القطلونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط الذين قاموا بتوطيد علاقاتهم بالدولة الزيانية، وإشتداد الحملات الصليبية على السواحل المغاربية، إضافة إلى بروز النفوذ العثماني الذين سيطروا على طرق التجارة البحرية في آسيا الصغرى وشمال إفريقيا، وهو مادفع للتوغل إلى داخل تلمسان بهدف معرفة طرق الذهب وجمع أكبر قدر منه حتى أنهم إلى سجلماسة عن طريق تلمسان⁽³⁾.

ولما أدرك البنادقة أهمية التجارة مع تلمسان فبدلو مجهودات كبيرة من أجل الحصول على ذهب بلاد السودان عبر تلمسان لتعويض خسارتهم في شرق الحوض المتوسطي، ومنذ القرن الرابع عشر ميلادي أصبح لهم فندق خاص بهم في تلمسان وآخر في وهران، وكانت موانئ وهران والمرسى الكبير تستقبل سفنها الكبيرة التي كانت تقيم أكثر من عشرة أيام، ولقد أثر الصراع بينهم وبين الأروغونيين إلى التحلي عن التجارة عبر ميناء وهران وتوجهوا نحو هنين أين كان يستقبلهم التجار التلمسانيون⁽⁴⁾.

1 - فاتح مزودي، المرجع السابق، ص 95.

2 - المرجع نفسه، ص 95.

3 - نفسه، ص 95.

4 - نفسه، ص 96.

ونستنتج من خلال ما سبق أن العلاقات الزيانية مع الجمهوريات الإيطالية كانت مرتبطة بالتجارة فقد اضطروا لعقد المعاهدات لكي يحافظوا على تجارتهم وضمان الإستقرار والتقرب أكثر من تلمسان التي تعتبر همزة وصل رئيسية بين الطرق التجارية من السودان إلى أوروبا.

ب- مع قشتالة وأرغون:

استقبل كل من البلاط الزياني و النصراني خلال القرنين السابع و الثامن عددا من السفارات المتبادلة بين الطرفين، و كان أغلبها من أجل معاهدات الصلح و السلم، و الأصل في الأمر أن الأراغونيين سعوا للسيطرة على الطرق التجارية التي تصل بالسواحل الزيانية كما فعل الملك "خايمي الأول" عندما هاجم سواحل تلمسان سنة (627هـ/1230م) لكنه سرعان ما أدرك أن السياسة العدائية ليست في مصلحته و أصدر قرارا بمنع رعاياه من القرصنة ضد البلدان المهادنة، وهو ما جعل يغمراسن يبادر بإرسال سفيره "أبي أرلان" سفيرا إلى برشلونة فعقد معاهدة تجارية مع قطلونيا، وفي (648هـ/1250م) صدر المرسوم الأراغوني الذي يؤكد منع القرصنة فبدأت العلاقات تتضح خاصة في (652هـ/1255م) أين أصبح قائد السرية المسيحية في تلمسان مسؤول في نفس الوقت على التجار القطلاليون، وفي سنة (664هـ/1265م) قام خايمي الأول بإرسال الفارس "باردي فيلارجيت" سفيرا و قائدا أعلى إلى تلمسان لمدة ثلاث سنوات، يقوم خلالها بمهام عسكرية ومهام مدنية⁽¹⁾.

أما الملك "بيار الثالث" بطرس الثالث" قام بعقد معاهدة تجارة و سلم مع يغمراسن من خلال إعطائه جواز سفر دائم للتجار التلمسانيين و ذلك للمتاجرة في السواحل التلمسانية و توسيع التجارة بين البلدين، واستمرت العلاقات بين الدولة الزيانية ومملكة أرغون وقشتالة مع العديد من السلاطين الذين التزموا بإحترام بنود المعاهدات التي كانت بينهما والتي نصت على دعم السلم وتشجيع العلاقات التجارية بينها⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك فنجد العلاقات الودية بين هذه الدول استمرت مع العديد من سلاطين الدولة الزيانية حتى في عهد أبو حمو موسى الثاني، فقد استمرت هذه المعاهدات رغم أن العلاقات الزيانية الأراغونية قد شهدت فترات قوة وفترات ضعف ووهن بحسب الظروف والمناسبات التاريخية، و يظهر أن أثر هذه السفارات على الدولة الزيانية كان كبيرا⁽³⁾.

1 - فاتح مزردى، المرجع السابق، ص96.

2 - المرجع نفسه، ص96.

3 - نفسه، ص96.

ومن جانب آخر فقد تعددت صادرات الدولة الزيانية التي أشرف على تجارتها تجار المماليك النصرانية

أو شاركوا فيها ومن بينها :

الذهب :

كان يؤتى به من بلاد السودان عن طريق الذهب التي نشط على طولها اليهود وصولا إلى المدن الساحلية الزيانية التي أضحت منطقة عبور لهذا المعدن الثمين إلى كل بلاد العالم سواء في أوروبا أو المشرق⁽¹⁾.

القمح:

تركزت زراعة القمح في الدولة الزيانية على أطراف مدينة تلمسان وتنس ، وسهل متيجة وصدرت منه كميات كبيرة إلى أوروبا، حيث كانت تحمل عن طريق موانئ الدولة في كل من وهران وهنين إلى موانئ مرسيليا والميريا ومدن أخرى، كما كانت كميات أخرى من القمح تصدر إلى جهات أخرى التي كانت تعاني من نقص فادح في هذه المادة⁽²⁾.

المنسوجات و مواردها الأولية :

وأبرز الموارد الأولية التي تدخل في الصناعة النسيجية هي الصوف، الذي كانت بلاد المغرب أبرز مركز تجاري لإنتاجه وكان يصدر عبر مينائين من موانئ الزيانيين هما ميناء مستغانم ووهران، وقد اختلفت أثمانه حسب نوعيته وجودته، وكان يوزن بالطرود أي الحزم أو الأكياس مثل الصوف، إضافة إلى الجلود التي تنوعت كثيرا بسبب تنوع الحيوانات وكثرتها في بلاد بني عبد الواد، مثل الأغنام والماعز والبقر والخيول وحتى الجمال، و خاصة جلود الحيوانات المولودة متينة، وكانت تنقل هذه البضاعة عبر المدن الساحلية ومن هناك ينقلونها إلى إيطاليا وإنجلترا وباقي الدول الأوروبية، و لم تستعمل هذه الجلود فقط في المصنوعات النسيجية وإنما تعدى استعمالها في السفن الحربية⁽³⁾.

1 - شعيب حفصة، ريخة منال، المبادلات التجارية في الدولة الزيانية مع العالم المسيحي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، 2022، ص47.

المرجع نفسه، ص47.

2 - المرجع نفسه، ص47.

3 - نفسه، ص48.

أما بخصوص المواد النسيجية المصنعة فقد إشتهرت المدن الزيانية وخاصة تلمسان بتفوقها في صناعة أجود الأنواع من القماش أو الملابس الجاهزة، لذلك تمافت تجار أهل الذمة على شراء هذه المواد لتصديرها إلى كافة الأقطار ومنها إيطاليا والبرتغال والسودان، ومن بين هذه السلع نجد البرانس، الجبات والحياك، الأغطية، الأفرشة وغيرها، إضافة إلى ألبسة الحرير والكتان والمنسوجات القطنية التي ازدهرت أسواقها في أوروبا فأقبل عليها التجار، خاصة منهم البيزيين والبنادقة وحتى مملكة سنغاي حملت إليها هذه المنتوجات⁽¹⁾.

المرجان:

أقبل التجار الأوروبيون على شراء المرجان من الزيانيين نظرا لجودته وتوفره على سواحل البلاد خاصة سواحل تنس وجزائر بني مزغنة ووهران، فاشتهر في تجارته الأرغونيون والإيطاليون والبنادقة ويتم تصديره إلى كل البلاد⁽²⁾.

1 - شعيب حفصة، ريخة منال، المرجع السابق، ص49.

2 - المرجع نفسه، ص49.

المبحث الثاني: التأثيرات الاقتصادية:

مثلت بعض الحرف والصناعات في المجتمع الزياني القاعدة الإنتاجية للمدينة، بما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك باستغلال جميع الموارد المالية وتحويل المواد الأولية فلاحية كانت أو معدنية إلى بضائع إستهلاكية قابلة للتسويق، وبالتالي هذا ما جعل الجانب المالي وما يرتبط به من مساهمة الصناعات في تمويل بيت المال، إضافة إلى جميع الأدوار الأخرى باعتبارها العنصر الأساسي في جميع المعاملات المالية.

1. الدور المالي للحرف والصناعات:

إضافة إلى المعاملات المالية التي نالت اهتمام الدولة الزيانية، نجد أن النقود والعملة أخذت دورا بارزا بعناية الدولة ومراقبتها، وكانت دار السكة بتلمسان مؤسسة ذات أهمية بارزة للسلطة المركزية، بحيث لم تدخر الدولة جهودا في توفير المعدن اللازم لاستمرار السير الحسن داخل دار الضرب، ومن جهة أخرى لم تتوان السلطة المركزية في الضرب على أيدي الغشاشين الذين يعملون على تزييف النقود، وذلك لضمان عملية تحويل المعادن إلى نقود مختلفة التي كانت موجودة آنذاك⁽¹⁾.

1-أ- نظام الصرف:

يرجع الفضل لأسرة بني الملاح في ظهور النقود الزيانية على الشكل والمضمون الذي أخذته هذه النقود على الأقل في المرحلة الأولى من صدر الدولة الزيانية، حيث تمكن بعض الأفراد منها من الإشراف على دار السكة في تلمسان الزيانية ذلك أن هذه الأسرة كانت لها تقاليد عريقة في حرفة السك النقدي منذ أن كانت هذه الأخيرة تستوطن مدينة قرطبة الأندلسية، وعندما انتقل أفرادها إلى مدينة تلمسان⁽²⁾، استعان بهم سلاطين الدولة الزيانية في وظائف مهمة وأعمال مختلفة من بينها صناعة النقود نظرا لخبرتهم ودرايتهم بأصول هذه الصنعة.

يقول ابن خلدون: "نزل أولهم - يقصد بنو الملاح - في تلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الأولى - وهي السكة - وزادوا إليها الفلاحة وتحلوا بخدمة يغمراسن وابنه، ويشير ابن خلدون إلى أن هذه الأسرة امتهنت أيضا أعمالا مختلفة مثل السكة والفلاحة، كما تقلد بعض أفراد هذه الأسرة أمر الحجابة في البلاط الزياني على

1 - أمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-8هـ، المرجع السابق، ص91.

2 - رشيد خالدي، نقود الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص87.

عهد السلطان أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1301-1311م)⁽¹⁾، ويدل هذا على أن هذه الأسرة تنوعت مهامها وأعمالها في الدولة الزيانية، خاصة أن الدولة اعتمدت عليها في أمور كثيرة كالإشراف على دار الضرب بالمدينة، ومن المرجح أن يكون بعض ممن ينتسبون إلى هذا البيت الأندلسي قد تولوا مهمة الإشراف على دار السكة في تلمسان، وقد كانت النقود التي أصدرتها دار الضرب بالمدينة تحاكي نقود الدولة الموحدية من حيث الشكل (الدينار شكله دائري، والدرهم شكله مربع) مع اختلاف المضمون ويلاحظ في هذا الشكل استمرار الدولة الزيانية في التعامل بالنقود الموحدية إلى غاية السنوات الأولى من القرن الأول هجري/الرابع عشر ميلادي.

بعد التخلص من العملة الموحدية ضرب الزيانيون عملة خاصة بهم من معادن الذهب والفضة والنحاس، وكانت الدولة هي من تضرب النقود من خلال إشراف بني الملاح على دار السكة، وفي هذا الصدد انتشرت ظاهرة تزييف النقود في تلمسان مما أثر سلباً على الحركة الاقتصادية داخل المدينة وخارجها وهو الأمر الذي تصدت له السلطة المركزية في أكثر من مناسبة⁽²⁾.

يتبين مما سبق أن أسرة بني الملاح الأندلسية التي استقرت في مدينة تلمسان لعبت دوراً أساسياً في صك النقود الزيانية من خلال الإشراف على دار الضرب، وبالنظر إلى خبرة هذه الأسرة في حرفة الصك النقدي فقد حضيت بمكانة مرموقة في البلاط الزياني لفترة من الزمن.

1-ب- الضرائب:

كانت الضرائب في العهد الزياني تتشكل من الزكاة والعشر (المضروب على الأراضي) والجزية والضريبة الجمركية والمكوس فكانت تستفيد الضريبة الجمركية من رسوم الجمارك مردوداً كبيراً كان يبلغ ثلاثمائة وحتى أربعمائة ألف دينار طوال سنوات عديدة وخاصة عندما كانت وهران تحت سلطة بني زيان، ويبدو أن نصف هذه المبالغ كانت تصرف على الأعراب وحراسة الدولة والباقي لأجور الجند والقادة وكبار موظفي الحاشية، وكان الملك هو أيضاً ينفق على قصره وعلى متطلباته كان يوجد بالدولة العبد الوادية إدارتين للجمارك، الأولى بوهران والثانية بهنين، وترأسهما إدارة مركزية للجمارك بتلمسان، أما الزكاة أو الصدقة كانت تجمعها الدولة من الأغنياء وتضعها في بيت المال ثم تعيد توزيعها على مستحقيها، وعلى ما يبدو أن سلطان الدولة الزيانية كان متمسكاً بالإشراف والمراقبة على هذا المورد المالي، ولقد أشار يحيى بن خلدون أن السلطان أبا حمو موسى الثاني أرغم بعض مشائخ

1 - ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 140.

2 - رشيد خالدي، نقود الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص88

القبائل المتمردة على دفع الزكاة، ومن بين الضرائب التي كانت تعتمد عليها الدولة الزيانية ضريبة الأرض -الخراج- وكان مقدارها ما بين العشر ونصف العشر مع خروج الأرض⁽¹⁾.

وكانت الجزية تأخذ من الذميين من المسيحيين واليهود الذين كانوا يوجدون في ربوع الدولة العبد الوادية وكانت تستثنى هذه الضريبة على المرأة، والصبي، والمجنون، والراهب في ديره، والعاهات والمساكين الذين يعيشون من صدقات الناس ومن جني الموارد المالية للدولة الزيانية المكوس التي كانت تفرض على عمليات البيع، أما التي لا تباع فإن أصحابها لا يدفعون مكوسها باستثناء الذهب والفضة الذين يدفع عنهما أصحابهما فور دخولهما إلى حدود الدولة مكوسا تقدر بخمسة في المائة من قيمتها، ولقد ساهمت هذه المكوس بدرجة كبيرة في تمويل خزينة الدولة إلى جانب الضرائب والجزية، فقد حددت مكوس الواردات بـ10% من قيمة البضائع التي يتم بيعها، أما الذهب والفضة فكان يدفع صاحبهما 5%، أما الجبايات المفروضة على صادرات الدولة تعادل 5% وتجي عن طريق كل السلع، كما فرضت الدولة العبد الوادية مكوسا إضافية مثل مكوس الخدمات كالترجمة وقدرت بـ95% من قيمة البضائع ومكوس الإرساء أو الملاحة وهي خاصة بالمراكب التي ترسو بموانئ الإمارة، ومكوس أخرى لم تحدد قيمتها وإنما كان يحدد قيمتها موظفو الديوان باتفاق مع التجار كمكوس الوزن والتخزين والسمسة، وقد ذكر حسن الوزان أن مجموع عائداتها السنوية تقدر بثلاثمائة ألف دوكا.

كان القائمون على بيت المال يحتلون مرتبة عالية في البلاط الزياني وكان يشترط في من يعتلي هذا المنصب أن يكون ماهرا في الحساب وعارفا بأنواع الخراج والجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج، والنظر في استخراج الأموال وجمعها في مواقيتها وضبطها في سجلات وتوقيع الحولات مما يمكن الموظفين من الحصول على رواتبهم الشهرية، ومن أشهر الأسر التي كانت قائمة على بيت المال أسر "بنو الملاح" وهم قرطبيون الأصل معروفون بالأمانة والصدق وكانوا يحترفون سكة الدنانير وكذلك أسرة "أبو المكارم محمد بن سعود" وأسرة "عبد الرحمان الشامي"⁽²⁾.

أما بالنسبة للحرفيين والصناع فقد فرضت الدولة الزيانية عليهم ضرائب سواء القاريين أو المتنقلين، الذين كانوا يدفعون المغارم عادة عند أبواب المدينة حتى الفلاحين في تلمسان كانوا يدفعون رسوما على محاصيلهم، وهو ما عبر عنه الخطيب بقوله: "ولا فلاحة إلا لمن أقام رسم الفلاحة" وتضمن رسم أراضي ملاتة (سهل بين وهران وتلمسان) سنة ثمان وخمسين وسبعمائة في الزوج الواحد منها إلى أربعمائة مد كبير وهو ستون برشالة زنتها ثلاثة

1 - ميخوت بودوايه، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المرجع السابق، ص58.

2 - المرجع نفسه، ص59.

عشر رطلا من البر سوى الشعير والبقلاء، وكان الحرفيون التجار يدفعون كذلك الضرائب عند دخولهم أسواق العاصمة وكان التاجر مغرمه ومن جاء معه مائتي دينار ذهب وبالتالي فإن الدولة الزيانية عن طريق الجباية عبر كل مناطق المملكة الزيانية وفي المقابل نجد الزيانيون قد حافظوا على نفس النظام الضريبي الذي كان سائدا في زمن الموحدين، والضرائب على الحرفي كانت تقرر حسب دخل الصناع ويرجع تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة من الصنائع في المدينة ويقوم هذا الأمين برفعها إلى المحتسب أو إلى صاحب الأشغال في المدينة الذي يحتفظ بإحصاء شامل لكل الصناعات وأربابها وعمالها⁽¹⁾.

2. الدور التجاري الحرف :

لقد كان للموقع الجغرافي للدولة الزيانية أهمية كبيرة و استراتيجية هامة خاصة تقارب موانئها للموانئ الإسبانية والإيطالية والفرنسية هذا ما أثر إيجابيا على المبادلات التجارية لحرفها بينها و بين هذه الدول المطلة على البحر المتوسط.

خاصة أن الدولة الزيانية أعطت أهمية كبيرة للحرف والصناعات من خلال المعاهدات التي تنص على حرية المبادلات التجارية مع جمهوريات إيطاليا وتجار البرتغال وغيرها وهذا ما أثر إيجابيا و سلبيا على الدولة الزيانية⁽²⁾ و ذلك من خلال :

أ- العوامل الإيجابية:

كانت الدولة الزيانية تتحكم في طريق القوافل التجارية المختلفة، منها الطريق العابر للمغرب الإسلامي مما جعل أغلب الرحالة الذين اجتازوا هذا الطريق يصفون الأحوال الاقتصادية للدولة مثل : ابن بطوطة وعبد الباسط بن خليل وغيرهم في بداية القرن العاشر هجري-السادس عشر ميلادي.

إضافة إلى أن تلمسان تتحكم في المسالك المتجهة من موانئها نحو السودان الغربي مثل الطريق الذي يربط وهران وجزائر بني مزغنة وهنين بالواحات الصحراوية كسجلماسة وغيرها.

ومن جانب آخر عرف عن سلاطين الدولة الزيانية في العصر الذهبي وفي المرحلة الأخيرة تسامحهم مع التجار المسيحيين الذين كانوا مقيمين بمدن الدولة وعلى الخصوص مدينة تلمسان، فالبعض منهم كانوا يزاولون النشاط الحرفي داخل تلمسان ونستدل على ذلك من احدى رسائل السلطان أبو حمو موسى الثاني وقد بين فيها

1 - لخضر العربي، الحرف والحرفيون في مدينة تلمسان الزيانية، المرجع السابق، ص ص 82-83.

2 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، المرجع السابق، ج2، ص139.

أن بعض هؤلاء المسيحيين كانوا يعملون في ورشات تابعة للدولة، يتقاضون أجورا منها على السلع التي ينتجونها، كما بينت كتب النوازل وجود هؤلاء في أسواق الدولة وخروج البعض منها إلى أريافها لإصلاح حاجيات سكانها كالمناسيج والغرابل وغيرها.

لكن هذه الجالية قد تعرضت لرد الفعل من طرف أهل تلمسان عندما وصلت للمدينة أخبار عن عملية القتل الجماعي لسكان مدينة وهران من طرف الجيش الإسباني فثار هؤلاء ضد الجالية المسيحية بالمدينة، لكن تواجدهم إستمر بعد ذلك لأن المعاهدة التي أبرمت بين السلطان الإسباني فرديناند الكاثوليكي وعبد الله بن قلمون نصت على الوجود المسيحي بتلمسان⁽¹⁾.

تأتي جمهوريات إيطاليا على رأس قائمة الدول التي تعاملت مع الدولة الزيانية في عصرها الذهبي، فكان التجار الإيطاليون يعرفون الأراضي الزيانية معرفة جيدة، حيث كانوا يتوافدون على ميناء وهران وبقية موانئ الدولة الزيانية الأخرى الممتدة من ميناء أزفون شرقا إلى ميناء هنين غربا للقيام بدور الوسيط في التجارة بين إفريقيا وأوروبا.

إضافة إلى الوجود الإيطالي بموانئ الدولة الزيانية يعود إلى القرن السادس هجري-الثاني عشر ميلادي، وبذلك يكونوا قد سبقوا تجار كاطالونا وقد ازداد النشاط التجاري خلال المراحل التي مرت بها الدولة الزيانية حيث احتلت موانئ الدولة المرتبة الأولى في العلاقات التجارية بين دول المغرب الإسلامي وأوروبا خلال العصور الوسطى والنصف الأول من القرن السادس عشر خاصة مع البنادقة الذين كانوا يلحون للحصول على السلع التجارية⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك نجد أن الدولة الزيانية اختلفت فيها مختلف أنواع الصناعات والحرف خاصة أنها كانت القاعدة الإنتاجية للمدينة، وذلك بما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الإقتصادية ومن أمثلة ذلك:

الصناعات النسيجية:

تعتمد هذه الصناعة على مواد مختلفة كالصوف، والقطن، والكتان والحريير والجلود على اعتبارها مادة أولية متوفرة بشكل كبير في أراضي الدولة الزيانية وتشمل بوجه خاص: حياكة الملابس والزراي والحنابل وصناعة الخيم والأحذية والسروج والأحزمة وغيرها.

1 - مختار حساني، المرجع نفسه، ص ص 140-141.

2 - نفسه، ص ص 142-143.

وقد أثنى ابن خلدون على هذه الصناعة بتلمسان، إضافة إلى الزهري الذي نوه بمكانة تلمسان في صناعة المنسوجات الصوفية لقوله "هي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل وغير ذلك" و هذا ما خص به من جميل صنعهم، وقد كان أبو زيد عبد الرحمن بن النجار من كبار أرباب الحرف بتلمسان يزاول حياكة الصوف الرفيع، يقصده كبار التجار من المشرق والمغرب للإقتناء منها، وكغيره من الحرفيين الذين كانوا يملكون ورشات حرفية يديرها أرباب الصنعة وهم بدورهم تميزوا في دولتهم⁽¹⁾.

الصناعات الفخارية والخشبية:

تداولت في المملكة الزيانية حرفة الفخار والتي كان لها دور كبير في ازدهار إقتصاد الدولة، ومن المؤكد أن هذه الصناعة قد أثرت بشكل كبير من خلال فئة الأندلسيين الذين أدخلوا معهم إلى بلاد المغرب الأوسط صناعات جديدة كصناعة الزليج ذو الألوان المختلفة.

كما أن عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت في هذا العصر تركت آثارا كبرى في تطوير الصناعات الخشبية، بما احتاجته من أسقف ونوافذ ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية، وكانت السقوف الخشبية تغطي بالقصدير والأصباغ الملونة، والأبواب تغطي كلها بالنحاس الأصفر، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتية وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأنبوس والصندل والعناب وأصناف الخشب العظيم، وقد برز ذلك في القرن التاسع هجري النحت على الخشب بالنسبة إلى الأثاث والخزائن والصناديق وأبواب المساجد، ومن بين الآثار الدالة على هذه المرحلة ثرية مسجد تلمسان التي تعود إلى عهد يغمراسن بن زيان، هذا إلى جانب النحت على الجبس والزخرفة والفسيفساء الفنية التي وجدت على سطوح الحجرات المبلطة بالزليج الملون، وهو ما ذهب به الحسن الوزان في وصفه لمدينة هنين التي لا يفصلها عن تلمسان إلا أربعة عشر ميلا: "ودورهم في غاية الجمال والزخرفة..... أرضها مبلطة بالزليج الملون وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج، والجدران مكسوة كلها بالفسيفساء الفنية"، وتعد المدرسة التاشفينية آية في الزخرفة والجمال، إذ يصفها جورج مارسي بقوله: "ولعب التلبيس الخزفي في الزخرفة دورا هاما..... فجهزت بالخزف محيطات الأبواب ورصف القاعات وتقدمت المصلي، فسيفساء من الدمى تأطرت بزخرفة صفييرية نباتية رقيقة"⁽²⁾.

1 - فرحات محمد إبراهيم بكار، الأنشطة الاقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، العدد 40، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، 2017م، ص07.

2 - فرحات محمد إبراهيم بكار، المرجع نفسه، ص08.

الصناعة المعدنية:

هي من بين الصناعات التي أخذت اهتماما خاصة من قبل السلطة الزيانية لارتباطها بالحياة المدنية من جهة والحياة العسكرية من جهة، ويعود السبب في تطورها إلى وفرة المواد الأولية في محيط الدولة قريبا من مناجم الذهب والزنك والحديد بشكل خاص.

شملت هذه الصناعة الأسلحة التقليدية كالسيوف، والرماح، والدرق، والمجانيق، والعربات، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار، كما استخدمت في مواضيع مختلفة كمصارع للأبواب ومقابض ومطارق لها إلى جانب بعض الأدوات البسيطة كالقفؤوس والمحارث والشبايك وغيرها.

وارتبطت كذلك بصك العملة وصناعة النقود من دنانير ودرهم بلغ عددها إثنان وثلاثون دينار في غاية الجودة والإتقان، بما تحمله من أشكال هندسية وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسلاطين، وآيات من القرآن الكريم، ومعلومات أخرى تفيد أنها ضربت لمدينة تلمسان مما يؤكد وجود دار للسكة⁽¹⁾.

ب- العوامل السلبية:

بالنسبة للعوامل التي أثرت سلبيا على المبادلات التجارية للحرف والصناعات المختلفة، نجد الإحتكار الإسباني بعد سيطرتهم على إمارة بني الأحمر لسقوط عاصمة الدولة غرناطة (898هـ/1492م) إلى إستعمال كل سبل السيطرة على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ومن أبرزها وهران والمرسى الكبير حتى يتمكن لهم التحكم في شريان التجارة و لكي لا تكون هناك مواجهة من البرتغاليين عمدوا إلى إبرام معاهدة معهم بتشجيع من الكنيسة لتوزيع أراضي المغرب الإسلامي و منها: الدولة الزيانية لأن شبكة المواصلات البحرية كانت عماد تلمسان الكلي، أهم شرايينها الحيوية شمالا " وهران " والمرسى الكبير وهنين، إذ كانت تلك الموانئ بمثابة همزة وصل نحو العديد من دول أوروبا المطللة على الحوض الغربي للبحر المتوسط⁽²⁾.

لكن سقوط المرسى الكبير و وهران في قبضة الإسبان ثم بعد ذلك هنين باعتبارها أقرب منفذ إلى تلمسان أثر على تجارتها، فتوقف تجار أوروبا من غير الإسبان الذين كانوا يعمدون إلى نقل المنتجات الفلاحية كالأصواف والجلود المدبوغة والخيول ومنتجات أخرى مختلفة بواسطة القوافل.

1 - فرحات محمد ابراهيم بكار، المرجع نفسه، ص09

2 - مختار حساني، المرجع السابق، ص138.

إضافة إلى ذلك الإحتلال البرتغالي لسواحل المحيط الأطلسي على تجار المغرب وبذلك نجد أن البرتغاليون غالبا كانوا يشكلون خطرا على تجار المغرب الإسلامي و من بينهم: تجار الدولة الزيانية. حيث حلو محلهم في مناطق كثيرة و نجد أن ريكاردو يذكر أن التجار البرتغاليين كانوا ينقلون المناجل التي توجد بسواحل المحيط الاطلسي و ذكر بأنهم تخلو عن تجارة الدولة الزيانية لأن أراضي هذه الدولة أصبحت ضمن نفوذ الإسبان و اقتصروا على ماكان يصنع في أسفن و أزموور منذ القرن (10هـ/16م) وهو ما جعل ريكاردو يؤكد أن البرتغاليون حولوا تجارة الحنابل نحو موانئ المحيط الأطلسي، فأثروا على صناعات الحنابل في موانئ الدولة الزيانية مثل: تنس ووهران التي استمرت بها صناعة الحنابل⁽¹⁾.

3. الأسواق:

إن استقراء المصادر يكشف عن وجود ثلاثة أصناف من الأسواق التي كان ينضمها المجال الإقتصادي في المغرب الأوسط الزياني، فهناك أولا الأسواق اليومية التي كانت منتشرة في كل مدن الدولة الزيانية، و هو ما يؤكد به يحيى ابن خلدون عن سوق أجادير بتلمسان التي تباع فيها مختلف السلع و البضائع يوميا، فقد ذكر أن الحياك مر بسوق أجادير فوجد الخبز بها يباع فأخذ خبزة وعرضها مناديا على من يرد التصديق عليه فيشتريها له، وبموضع آخر كان بتلمسان سوق يومي يدعى سوق منشار الجلد⁽²⁾.

أما الصنف الثاني، فهو الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع، و كانت تعرف باسم ذلك اليوم حيث كان السوق من صباح ذلك اليوم ويفض في آخر النهار من اليوم نفسه، ونسوق في هذا الصدد السوق الذي كان يقام بمعسكر كل يوم خميس، يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل والكثير من المنتجات المحلية، وسوق بقلعة هواره كان يقام كل يوم سبت تباع فيه الخضر والفواكه واللحوم والمواشي والزرايبي والكتاب، وقد أشارت بعض المصادر الجغرافية المتقدمة إلى مثل هذا النوع من الأسواق بالمناطق الداخلية حيث كان يقام سوق في يوم معلوم بمازونة، يجتمع فيه الأهالي بضروب الفواكه والألبان والسمن والعسل الذي ينتج بكثرة في المنطقة، كما أن بمدينة الشلف سوق يقام كل يوم جمعة، وبالقرب من تنس كانت تتواجد مدينة الصغيرة سميت باسم السوق التي كانت تقام بها وهي سوق ابراهيم الأسبوعية، كما كان لمليانة سوق يدعى سوق كرام⁽³⁾.

¹ - مختار حساني، المرجع السابق، ص 139-141.

² - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ص 37.

³ - الإدريسي، زهرة المشتاق، المصدر السابق، ص 128.

أما الصنف الثالث فهي الأسواق العسكرية التي تصحب عادة الجيش في تنقلاته أثناء غزواته لكن المعلومات التاريخية حولها تبقى قليلة، ولا ندري لماذا صممت المصادر الزيانية عن إفادتنا بهذا النوع من الأسواق، ويبدو أن هذه الأسواق كانت تتبع سيرا لاتباع الجيوش الغازية.

وعموما كانت هذه الأسواق تنتصب في الهواء الطلق، والقائمون عليها كانوا يختارون لها أماكن مناسبة لتكون قريبة من الجميع وبعيدة عن أي مسكن قار.

و حسب المصادر التاريخية فقد كانت هذه الأسواق تتميز بالتنوع في السلع المعروضة وغناها، كما حرص تجارها على توفير كل متطلبات و حاجيات سكانها من الأهالي أو من الزائرين من بعيد أو من مناطق الريف القريبة، خاصة إذا علمنا أن الكثافة السكانية بها كانت كبيرة ، ففي تلمسان وحدها بلغت ما يقارب 17 ألف كانون أو دار على عهد السلطان الزياني أبي تاشفين الأول (718-738هـ/1318-1337م) لهذا كان الإقبال الجماهيري على هذه الأسواق واسعا.

و إلى جانب عنصر التنظيم الخاص بالتوقيت الذي كان يتراوح بين اليوم والأسبوع، عرفت أسواق الدولة الزيانية تنظيما على مستوى الأمكنة التي قسم إليها السوق حسب نوعية البضائع المعروضة للبيع أو حسب الحرف مثل سوق الغزل، وسوق الدرازين، والعطارين، وسوق الحدادين، وسوق الخضر والفواكه، وسوق الخرازين، والخباطين والنساجين والصباعين، وغالبا ما كان اجتماع الدكاكين والحوانيت في شارع رئيسي يجمع حرف متعددة أو متكاملة يجعل من هذا الشارع سوقا يسمى بنوع النشاط المزاول فيه، فدروب "العباد" انتشرت فيها مختلف الدكاكين والحوانيت فكانت معظمها للصباعين والمرجع أن معظم مدن الغرب الإسلامي عرفت تنظيمات مماثلة⁽¹⁾.

ومن مظاهر تنظيم الأسواق كذلك، وجد القيسرية المتخصصة في بيع الأثواب والمنسوجات الحريرية أو الكتانية وبيع العطور وأنواع التوابل وكل ما يحتاجه الزبون، وتختلف القيسرية عن السوق العادي بسعتها وتنظيماتها المحكمة وما تشتمل عليه من أروقة مغطاة تشبع سوق العصر الكبير وتجلت ثقة تنظيم أيضا في تخصيص فنادق لتجار الجملة، يخرنون فيها بضاعتهم وسلعهم، التي يقومون باستيرادها من الخارج قبل بيعها إلى تجار التجزئة في نفس السوق، وكانت هذه الفنادق على أنواع متعددة منها ما كان تابعا للجالية الأوروبية باسم نوع الجالية المتواجدة فيه، أو باسم المدينة المنتمين إليها وقد عرفت الدولة الزيانية مثل هذا النوع من الفنادق، وكانت مدينة

¹ - خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، المرجع السابق، ص 32.

تلمسان هي الأخرى تحتوي على فنادق تحاذي حي القيسرية الشهير حيث كان ينزل به التجار من مختلف البقاع من جنوة والبندقية وفالنسيا إلى جانب رعايا العرش الأرغوني من مسيحيين ويهود⁽¹⁾.

¹ - خالد بلعربي، المرجع السابق، ص33.

المبحث الثالث: التأثيرات الاجتماعية:

استطاعت التنظيمات الحرفية الزيانية أن تضمن وتوفر خدمات كثيرة ومتنوعة للمجتمع الزياني عامة و التلمساني خاصة بجميع عناصره، وفي شتى المجالات لدرجة يصعب حصرها وتقييدها، مما يعني في نهاية المطاف أن إسهام الحرفيين والصناع كان على قدر كبير من الأهمية بالنظر إلى المنتوجات المختلفة التي استفادت منها الفئات الاجتماعية داخل المدينة وخارجها، وبالنظر أيضا إلى استقطاب يد عاملة كبيرة اتخذت من المجال الحرفي طريقا للكسب المشروع والاستزاق، وهو الأمر الذي يؤشر على إيجابية الوسط الحرفي رغم تسجيل بعض النقائص والسلبيات التي كان مصدرها بعض الحرفيين، لكن في جميع الأحوال فلا يسعنا إلا أن ننوه بمجهودات الحرفيين ونثمنها في آن واحد. ومن ضمن الخدمات العديدة التي لقيت استحسانا وتجاوبا من السكان بتلمسان (1) نذكر الآتي:

1. العلم:

اهتمت الدولة الزيانية (7-10هـ/1316م) كثيرا بالعلم واحتفت برحاله حتى في الفترات الحرجة التي تعرضت لها هذه الدولة، وعليه يمكن القول بأن الحياة الثقافية ازدهرت بحاضرة تلمسان الزيانية، فإذا كان الأمر قد تم على هذا النحو.

من المعروف أن الحياة الفكرية لم تكن لتزدهر بمدينة تلمسان لولا رعاية الدولة الزيانية لهذا الأمر، من خلال عملها على إنشاء معالم أخذت على عاتقها تنشيط الحركة الثقافية، والمقصود بذلك المساجد والمدارس في المقام الأول، والكتاتيب والزوايا في المقام الثاني. ولعل الفضل في تشييد هذه المعالم التي احتضنت الحياة الثقافية يرجع إلى جهود الحرفيين في البناء والتخطيط وأعمال النجارة التي أوكلت إليهم، فكانت النتيجة أن بني عدد المساجد والمدارس، منها على سبيل المثال: مسجد أبي الحسن التنسي (ت 696هـ/1269م)، ومسجد أولاد الإمام الذي بني سنة 710هـ/1310م، ومسجد إبراهيم المصمودي ومدرسة ابنا الإمام والمدرسة التاشفينية واليعقوبية (2).

¹ - أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح: محمود بوترة، دار الشيماء للنشر والتوزيع ودار النعمان للطباعة والنشر الجزائر 2012، ص 152

² - أبو حمو موسى الزياني، المصدر السابق، ص 152

وبعد أن أنهيت أشغال البناء، انبرى عدد من الحرفيين إلى الزخرفة، فأنجزوا أعمالاً رائعة تمثلت أساساً في تزيين وزخرفة المعالم الوقفية من مساجد ومدارس، ومن ينظر إلى هذه المعالم من الداخل ومن الخارج فسيقف بلا شك على المجهود الكبير والرائع الذي بذله الحرفيون والصناع في الزخرفة على الجبص والخشب، وفرش الأرضيات بالزليج، وهي أشغال كانت تمتاز بالدقة نتيجة تفاني المعمار المسلم في عمله. وبما أن المعالم المذكورة كانت بحاجة إلى تجهيزات مثل المناير والكراسي والخزانات والرفوف فقد تكفل بهذه المهمة النجارون الذين صنعوا الأبواب والنوافذ وباقي التجهيزات الأخرى التي كانت مادتها الأساسية الخشب.

وفي الجانب الآخر كذلك، تكفل الحرفيون في الوراقة بتوفير الكتب التي تحتاجها الخزانات العلمية بالمعالم المذكورة، وأبدع المزخرفون ممن يحترف الوراقة في تزويق وتسفير بعض المصنفات العلمية التي يحتاجها طلبة العلم، وحتى تلك التي حبست على الأماكن المقدسة في بلاد المشرق بأمر وتوجيه من السلطة المركزية⁽¹⁾.

2. السكن:

يذكر ابن خلدون في مقدمة كتابه "العبر" أن حرفة البناء تعد من أقدم الحرف والصناعات التي مارسها الإنسان، ويعرفها بالعمل على اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى، وأن ما نشاهده من اختلاف في تخطيط الدور بالمدينة يرجع إلى عوامل جغرافية ومناخية بالإضافة إلى تقلب الناس بين حياة الغنى والفقر، وفي ذات السياق، يتطرق ابن خلدون إلى مسألة أخرى تتعلق بالبنائين، حيث يذكر بأن منهم البصير الماهر منهم القاصر". ما يمكن ملاحظته بالنسبة لأشغال البناء بمدينة تلمسان هو المنحى التصاعدي الذي عرفته المدينة منذ تأسيسها خصوصاً في الفترة متناول الدراسة، وشهد النسيج الحضري توسعاً كبيراً منذ أن أصبحت المدينة حاضرة للدولة الزبانية منتصف القرن (7هـ/13م)، والفضل في هذا كله يرجع إلى عمل البنائين بالدرجة الأولى، بحيث أخذوا على عاتقهم توفير السكن والمأوى لسكان المدينة، ولنا في شهادة ابن خلدون التي سجلها وقتئذ ما يفيد بذلك، حيث يقول: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع الصروح بها بالأجر والفهر تعلى وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية، ونفق بها أسواق العلوم والصناعات وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية". والمتأمل

¹ ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

في هذا الكلام يتضح لديه الدور الكبير والمهم الذي قام به الحرفيون في البناء؛ حتى تصبح المدينة على الشكل الذي قرره ابن خلدون ونوه به هو وغيره من الجغرافيين الذين وصفوا خطة المدينة ونسيجها المعماري⁽¹⁾.

ومع توطيد نظم الدولة الزيانية وقواعدها بتلمسان وبالنظر كذلك إلى الحركة التجارية التي كانت المدينة طرفا فاعلا فيها في الفترة المدروسة، فقد استدعى كل ذلك من السلطة المركزية أن تواكب هذه التحولات، خاصة بعد أن انتقلت الدولة الزيانية من طور البداوة إلى مرحلة التمدن من خلال الاعتماد على فئة الحرفيين منهم، خاصة أولئك الذين كانوا ينشطون في بناء وتخطيط الدور والمنازل للطبقة الغنية من سكان تلمسان. ويظهر أن أشغال البناء لم تقتصر على اليد العاملة المحلية بل تعدتها إلى الوافدة على المدينة من الأندلسيين، هذه الأخيرة كانت لها خبرة ودراية أكبر بالبناء والتزيق فأسهم كل هؤلاء في النهضة العمرانية التي شهدتها المدينة ونسيجها المتمثل في القصور والدور والبساتين. وتذكر المصادر التاريخية أن عدد الدور المبنية في تلمسان قد بلغ زمن حكم السلطان أبي تاشفين (7189737هـ / 13181337م) حوالي ستة عشر ألف كانون، وقطعت المدينة شوطا مهما في التحضر والازدهار لم تعهده سابقا⁽²⁾.

وبعد أن أتمت أشغال البناء بالدور والمنازل، تقدم حرفيون آخرون في الزخرفة ليتمموا عمل البنائين.

ومن الطبيعي جدا أن يكون عمل المزخرفين يقتصر كما هو معروف على منازل الطبقة الغنية من سكان المدينة، وعليه، أنجز هؤلاء الحرفيين أعمالا رائعة باستعمال الجبس والزليج والخشب. وفي هذا السياق، هناك يشير إلى أن دور الأغنياء بتلمسان فرشت أرضياتها بالرخام وكسيت أيضا جدران هذه البيوت بالكلس أو الزليج⁽³⁾.

يتبين أن العمل الحرفي الذي بدأه البنائون أكمله المزخرفون، لكن كما ذكرنا فإن الأمر تم على مستوى منازل الفئة المحظوظة من سكان المدينة كما هو الحال في جميع مدن العالم الإسلامي، ذلك أن النسيج الحضري داخل المدينة الإسلامية كان يتشكل في الغالب من منازل بسيطة، ولعل هذا الوضع هو الذي جعل أحد يصرح (لما عقد مقارنة بين مدينتي تلمسان وفاس بأن الأخيرة أجل قدرا وأكثر خيرا ومالا وأعلى همة في المباني واتخاذ

¹ - ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص ص : 294-295.

² الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 17

³ مهتاري زرقة فايوة، المسكن التقليدي في تلمسان خلال العهد الزياني (دراسة تاريخية أثرية)، دورية كان التاريخية، العدد 58، السنة الثامنة، يونيو

2015، دار ناشري - الكويت 2015، ص 94.

الديار الحسنة، وهي المعلومة التي وجدناها عند الوزان في القرن (10هـ/ 16م) ، والذي يخبرنا هو الآخر بأن دور تلمسان أقل قيمة بكثير من دور فاس. لكن ما يهمنا نحن هو أن التوسع العمراني الذي شهدته مدينة تلمسان في الفترة الزيانية تم بفضل سواعد البنائين⁽¹⁾.

3. الملبس:

اجتهد الحرفيون في أعمال النسيج والأنشطة المرتبطة بهذه الصناعة مثل الخياطة والحياكة في توفير ما يلبسه سكان المدينة وباديتها وحتى من يقصد تلمسان للتجار فيها بحيث كان بعض التجار يقتنون ما يُحَاك في الورشات الصناعية، خاصة وأن تلمسان كانت مشتهرة منذ زمن بصناعة المنسوجات المختلفة بالنظر إلى معطيات ترتبط بتوفر المواد الأولية مثل الصوف والقطن والكتان بالإضافة إلى اليد العاملة المحلية والأجنبية الوافدة إليها من الأندلس، وتشجيع الدولة المخزنية لهذه الصناعة، ويتجلى ذلك في وضع مقياس كان مثبتا على لوح من رخام كان يستعين به الباعة والمشترون في السوق الأعظم المعروف بالقيصارية، وكان الغرض من وضع المقياس المذكور حل أي خلاف يمكن أن يحدث أثناء عقد الصفقات التجارية فيما يرتبط بالمنسوجات الحرفية، وكان ذلك حوالي سنة 1328هـ/ 1328م في عهد السلطان أبي تاشفين (718-737 هـ / 1318-1337م)⁽²⁾.

تأسيسا على ما سبق ذكره، يمكن القول بأن النساجين بمدينة تلمسان تمكنوا من توفير الألبسة التي تحتاجها الفئات الاجتماعية الغنية والفقيرة على حد سواء، بحيث تذكر المصادر بأن لباس التلمسانيين كان أكثر أناقة مما هو عليه الحال بمدينة فاس⁽³⁾.

¹ - الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان 1984، ص 135. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 19.

² - Atallah Dhina, **Les états de l'occident Musulmans aux XIII XIV et XV^e siècle**, Office des Publications Universitaires- Alger 1984, p354.

³ - مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع - الرباط 1989، ج2، ص 300.

المبحث الرابع: التأثيرات العمرانية:

برز تأثير الحرف و الصناعات في الجانب المعماري بشكل كبير، بحيث تختلف أحوال البناء وأساليبه في الدولة الزيانية بحسب ما يتعارف عليه أهله ، فمنهم من يتخذ القصور الكثيرة الدور، يبني جدرانها بالحجارة أو الآجر ويلحم فيما بينها بالكلس، ويبالغ في تزيينها بالأصباغ والنقوش وضروب من الصناعة المختلفة، ومنهم من يكتفي ببناء البيوت لنفسه وولده لا يتجاوزه إلى ما سواه لقلّة ماله، أما بخصوص مواد البناء المستعملة قد استخدموا الحجارة والقرميد والرخام الجص...⁽¹⁾، فتميز عمراهم بجدرانها المنقوشة بالصناعات المختلفة بالجبس والزليج والنقش المحكم النجارة والصناعات المشتركة ونقش ساحة الدار وفرشها زليجا ورخاما بما فيها من الطيفير، الرخام والسواري، والنجارة في السقف مختلفة باختلاف القبب بالصناعات المعروفة عندهم المشتركة المدهونة، والأبواب بالصناعات المؤلفة والخزائن جميعها، والحلية في جميع ذلك من النحاس المموه بالذهب والحديد المقصدر⁽²⁾.

كما كانت حرفة القرميد من الحرف المنتشرة والتي كما هو معروف تمر بعدة مراحل تفنن القرميدي الزياني فيها بكل مراحلها حتى مرحلة التلوين سواء كان اللون الأحمر والأخضر القاتم ، ليغطي بها بصفة خاصة سطوح المساجد والقصور و عمائر أخرى، ولم تختص سطوح القصور والمساجد منازل السلاطين بالقرميد في تغطيتها بل حتى منازل الطبقة اليسورة والمتوسطة كانت تغطيها القرميد، كما استعانوا بالآجر على نطاق ضيق إن صح التعبير خلال العصر الزياني، حيث ظهر بقوة في بناء المآذن لخفة وزنه وسهولة العمل عليه ومنظره الجميل المائل إلى الأحمر على العصر الزياني.⁽³⁾

وبالنسبة لسلاطين الدولة الزيانية فقد أولوا عناية بالمساجد، باعتبارها عاملا من عوامل تزكية شخصية السلطان وظهوره بمظهر التقوى والورع⁽⁴⁾، إلى جانب ذلك أنّها تعتبر من الركائز الأساسية في المدينة وسمّة من سمات الشخصية الإسلامية، فضلا على أنّها تشكل رافداً هاماً في اتصال السلطة بالفقهاء، وهذا ما يظهر من

1 - جديد عبد الرحيم، نماذج من حرف وصناعات البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين الحمادية والزيانية، المرجع السابق، ص146.

2 - شعوة علي، المنشآت العمرانية للدولة الزيانية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد01، العدد2، ديسمبر2017، ص53.

3 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص121.

4 - لرج عبد العزيز، المساجد الزيانية بتلمسان "عمارتها وخصائصها"، الآثار، المجلد 6، رقم 1، 1991، ص115.

خلال تلك المساجد التي أنشأتها السلطة الزيانية خصيصا لبعض الفقهاء أو التي حملت أسماءهم⁽¹⁾، وكمثال على ذلك نجد مسجد "سيدي ابراهيم المصمودي" قد حمل اسم الفقيه "أبو اسحاق إبراهيم المصمودي" نظرا لإمامته أو مزاولته التدريس والصلاة به، فقد جمع في شخصه بين "الرئاسة في العلم"⁽²⁾.

وأما العناية التي خصّ بها سلاطين الدولة الزيانية المساجد، فتظهر من خلال سعيهم إلى بنائها وتجديد ما دثر منها مما يتم تفصيله لاحقا، بحيث اهتموا بترميم المساجد القديمة وإصلاحها والتي ترجع في أغلبها إلى العهد الإدريسي والمرابطي، كما تتجلى من خلال حرصهم على تهيئتها حتى تؤدي رسالتها على أتم وجه كاهتمامهم بإنارتها وفرشها بأبهى وأفخر الأفرشة، وإقامة عليها الأحباس الكثيرة وتقديم خزائن الكتب لها، بالإضافة إلى تفعيل دورها التعليمي من خلال الإشراف المباشر والمبكر على التعليم بها منذ قيام الدولة⁽³⁾.

وعموما من جملة المساجد السلطانية بتلمسان نذكر:

1. المسجد الكبير:

يتكون المسجد من جزأين متلاصقين ومتلاحمين هما الجزء المستطيل بناه المرابطون ويشكل قاعة الصلاة، أما الشبه المنحرف فبناه الزيانيون ويشكل الصحن والأروقة التي تحيط به والمفدنة، وكذا يعتمد على بلاطات المتعامدة مع حائط القبلة⁽⁴⁾، وبالمسجد دعامات مستطيلة طولها ما بين 0.76م و 0.80م وعرضها ما بين 0.62م و 0.65م ، ودعامات تشبه حرف T طول أضلاعها 1م أو 1.10م/0.80م، أو 1.10م/0.90م ، ودعامات تشبه الصليب، والعمود ارتفاعه 1.42م وقطره 28سم.

الصحن:

يحتوي المسجد على صحن شكله مربع تقريبا، طوله 17.50م وعرضه 16.70م، مبلط بالرخام ويحتوي الصحن على نافورة محفوظة حاليا في متحف تلمسان، لها شكل مقطع هرم ذات قاعدة مستطيلة ارتفاعها

1 - نبيل شريحي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن و التاسع

الهجريين، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المشرق و المغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2010، ص97.

2 - بكوش فافة، الوظائف التعليمية للمساجد السلطانية بتلمسان خلال العهد الزياني (633-791هـ/1235-1388م) -الجامع الأعظم

نموذجاً-، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد4، العدد2، سبتمبر 2021، ص275.

3 - بكوش فافة، المرجع السابق، ص275.

4 - عبد الله ثاني قدور، المسجد الجامع بتلمسان وسيميائية فن الخط العربي الإسلامي، مجلة منير التراث الأثري، العدد1، ص34.

0.52م والقاعدة الكبرى طولها 1.65م وعرضها 1.07م، حافظها الخارجية مزينة بتجاويف، أي ذو تصميم مربع الزوايا ومنحرف وتحيط به أروقة من ثلاث جهات والثلاث جهات كلها توصل لقاعة الصلاة⁽¹⁾.

القبّة:

تشكل القبّة المركزية مضلعاً ذا اثني عشر ضلعاً، في داخله قبيبة معرفة ذات اثني عشر عرقاً، والانتقال من الشكل المربع إلى القبّة يكون عن طريق مثلثات منحنية، وهي مزينة بقبيبة معرفة ذات ثمانية عروق، داخل مربع ثماني الرؤوس.

الأثاث:

يحتوي الجدار الجنوبي للمسجد على خزانة من خشب الأرز، يرجع الفضل في اكتشاف الكتابة الزخرفية التي تزينها إلى شارل بروسيلار "Charles Brosselard" الذي قام بإزالة الطبقة السميكة من الكلس التي كانت تغطيها وتنظيفها بعناية.

يبلغ طول اللوحة 2.5م وارتفاعها 35سم، ووريدات منقوشة تشكل إطارها ومنحوتات تزخرف جدرانها، أمر بصناعتها أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1359م، وهذا ما تؤكدته الكتابة المنقوشة عليها بالخط الأندلسي: "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو بن الأمر الراشدين أيد الله أمره وعز نصره ونفعه كما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى وكان الفراغ من عملها في يوم الخميس ثالث عشر من ذي القعدة عام ستين وسبع مائة".

كما يحتوي المسجد على ثرياً كبيرة معلقة بالقبّة المركزية، وتمثل تاجاً من دائرة يبلغ محيطها 8م، ومصنوعة من خشب الأرز ومكسوة بصفائح نحاسية أعيد ثقبها، وتشكل ثلاثة دوائر أصغر منها، وهي متدرجة ومضمومة بقطع خشبية مائلة مشكلة نوعاً من المخروط المسطح، وفي قمته تحمل أسطوانة مزخرفة بثلاثة كرات وأعلىها توجد حلقات لتعليقها⁽²⁾.

¹ - هني ابتسام مريم، جماليات الزخرفة الإسلامية في مساجد تلمسان الفترة الزيانية نموذجاً، أطروحة دكتوراه، تخصص دراسات في الفنون التشكيلية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2019، ص143.

² هني ابتسام مريم، المرجع السابق، ص143-144.

المئذنة:

تقع في الجدار المقابل لجدار القبلة في المحور الرئيسي للمسجد، بنيت المئذنة من الآجر الأحمر الممزوج بالحجر المدكوك الذي يستعمل لتماسك الآجر فيما بينه مطلي بالجير، وتداخلت عوارض خشبية كثيرة في قوالب الآجر ويحوي على زخرفة مميزة في كل أطرافه⁽¹⁾.

2. جامع سيدي أبي مدين (مسجد سيدي بومدين):

حمل مسجد سيدي بومدين هذا الاسم ليزكرنا بمآثر الشيخ وسيرته، وللتعرف على المعلم لا بد من معرفة العالم ، وهو : أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (المتوفى سنة 594هـ) : الشيخ الفقيه، المحقق، الواصل، القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العباد والزهاد وخاصة الخلاء من فضلاء العباد، سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي من ناحية إشبيلية⁽²⁾.

يقول ابن مرزوق عن الجامع: "أما الجامع الذي بناه (أي أبو الحسن المريني) حذاء ضريح شيخ المشايخ وقدوة الأئمة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن حسين الله عنه، فهو الذي عز مثاله واتصفت بالحسن والوثاقة أشكاله، أنفق فيه مقداراً جسيماً ومالاً عظيماً، وكان بناءه على يد عمي أبي صالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق وعلى يدي، اشتمل على الوضع الغريب، وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة ، كل جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع قد رقت على نحو ما يرقم عليه أشكال منجورة منقوشة، وهي كلها مبنية بالآجر والفضة، واشتمل على المنبر العجيب الشكل، المؤلف من الصندل، والعاج والأبنوس المذهب ذلك كله⁽³⁾.

وأما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرج الذي ينزل فيه إلى قبر الشيخ وإلى الشارع وهو باب النحاس المخرم، والمنقوش بالخواتم المستوفات المشتركة العمل وتخريجه على أشكال من نحاس ملونة⁽⁴⁾.

1 - هني ابتسام مريم، المرجع نفسه، ص144.

2 - أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تج: رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية، الجزائر، 1910، ص55.

3 - محمد ابن مرزوق تلمساني، المرجع السابق، ص440.

4 - المرجع نفسه، ص447.

وإذا خرج الزائر من الضريح بعد أن يصعد المدرج الذي نزل معه فإنه يقابله باب الجامع الضخم ذو الزخرفة الباهرة، يحتوي هذا الباب على قنطرة عظيمة البنيان على شكل حذوة الفرس مغيرة في رأسها بتكسير غير ظاهر، وعلى إطار بديع يحيط بالقنطرة كلها، ويتألف من ثلاثة تقاطيع على شكل أوراق الأشجار وأزهارها... وفوق ما ذكر تشاهد حاشية أخرى جارية فوق هذا الإطار المستطيل الشكل رسمت في داخلها الأبيض خطوط أندلسية أنيقة نصها: (الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله به)⁽¹⁾.

3. المشور:

أبداع الزيريون في تشييد القصور في العمارة المدنية بتلمسان، ومن أهمها المشور الذي يقع في الجهة الجنوبية للمدينة، وهو عبارة عن قلعة أو قصبه بناها يغمراسن في بداية عهده، وسماه المشور تمييزاً عن القصر القديم، وتعني مكان الاجتماع للتشاور، ومناقشة شؤون الدولة، لذا فقد اتخذ مقرًا رسميًا لإقامته، وأنزل به الحاشية ورجال الدولة، ويستقبل فيه الأمراء والسفراء الأجانب، وقد قام بتخطيطه على شكل مستطيل نحو الشمال على طول متر وعرض 280 متر⁽²⁾، وإلى جانب قصر المشور اهتم السلاطين الزيريين، وخاصة يغمراسن بالبناء والتشييد، وواصل ابنه عثمان، ثم حفيده أبو حمو موسى الأول على نفس المنوال، فكان مولعا بالعمارة، ويعتبره رمزا للقوة والازدهار، وهي من مهام السلاطين الأقوياء، فبنى دار الملك والدار البيضاء ودار السرور، وشيد قصر أبي فهر في موضع يُعرف بـ"بنفرغنبو"⁽³⁾.

كما نجد بعض القصور التي لا تزال شاهدة إلى يومنا مثل قصر العزيز (قرب ساحة النصر)، وقصر الضياف قرب رياض بن فارس وقصر شنقر في حي القصارين، وقصر حانوت في أقادير، وقصر عبلة بنت السلطان قرب متشكانة، وقصر غرس الباي في فدان السبع⁽⁴⁾.

1 - الحاج محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص 290.

2 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 117.

3 - المرجع نفسه، ص 118.

4 - سامي سلطان، الجاليات الإيطالية في الدولة الزيرية، مجلة سيرتا، العدد 10، أبريل 1988، ص 91.

أما الفنادق فتحتوي مدينة تلمسان على عدة فنادق تقع بالحي التجاري، يقطنها في الغالب التجار المسيحيون والقناصل، وبخاصة ممثلي الشركات التجارية الأجنبية التي تقوم بعمليات التصدير والاستيراد والإشراف على التجارة وتنظيمها، ولعلها كانت تتمتع بحصانة تشبه في هذا الأمر البعثات الدبلوماسية والسفارات، والظاهر أنّ مدينة تلمسان كانت تشتمل على مجموعة من الفنادق بالنظر إلى أهميتها التجارية والاقتصادية، وموقعها الاستراتيجي في ملتقى الطرق التجارية بين أوروبا وإفريقيا من جهة، وبين المغرب والأندلس والمشرق من جهة أخرى⁽¹⁾، وقد تركت لنا بعض المصادر أسماء فُنْدُقَيْنِ بمدينة تلمسان هما فندق الشَّمَّاعين وفندق المجاري، وجاء ذكر اثنين آخرين خصيصاً لإقامة التجار الوافدين من جنوة والبندقية في وصف إفريقية للحسن الوزان، لكن دون أن يذكر أسماءها، وتُبنى الفنادق عادة بالقرب من الأحياء التجارية، والأسواق أو داخلها، وفي بعض الأحيان تنشأ خارج الأحياء السكنية أو بالقرب من أسوار المدينة وفي الضواحي والأرباض التلمسانية⁽²⁾.

1 - سامي سلطان، المرجع نفسه، ص 91.

2 - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 138.

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة موضوع بحثنا الذي تمحور حول النشاط الحرفي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط عامة وعصر الدولة الزيانية خاصة، فبعد التعرف على جغرافية بلاد المغرب الأوسط من خلال الإطلاع على المصادر، وكذا إحصاء ثرواته الطبيعية المختلفة الراجع لموقعه الإستراتيجي المتميز من الناحية المناخية، ومن جميع النواحي التي أدت إلى ظهور نشاط حرفي متنوع استنتجنا مايلي:

حظيت الحرف بمكانة مرموقة في فكر دول المغرب الأوسط في العصر الوسيط، بحيث كان لها أهمية بالغة عند سكان المغرب الأوسط، هذا ما أدى إلى انتشارها الواسع في كافة أنحاء البلد. النشاط الحرفي من أهم الأنشطة الإقتصادية للدولة الزيانية بحيث شملت العديد من الحرف والصناعات، فكانت هذه الحرف الوسيلة لكسب قوتهم اليومي، وانتشار هذا النشاط يدل على غنى الدولة في المغرب الأوسط بالكثير من الثروات الطبيعية (الحيوانية، النباتية، الزراعية، المعدنية...).

استطاع سكان المغرب الأوسط الاستفادة من الثروة الزراعية والحيوانية، ووظفوها في المجال الحرفي، ومن ذلك الحرف النسيجية والجلدية.

نتيجة لزخر المغرب الأوسط بحرف كثيرة وصناعات متنوعة لجأ الحكام إلى وضع تنظيمات تراقب النشاط الحرفي، فجعلوا لكل حرفة طائفة ينتسب إليها أهل صنعتها ولهذا الطائفة بنية تنظيمية تسيّر النشاط الحرفي وتراقبه.

للحرف انتماءات وطوائف حرفية متنوعة ومتعددة ينتسبون إليها تدخل في المجال الذي تعمل فيه منها طائفة البنائين والفلاحين...، كما وجدت تنظيمات مختلفة للحرفيين.

كان للتطور العمراني والحضاري الذي عرفه المغرب الأوسط أثر كبير في الإنتاج الحرفي وجودته ويعود ذلك إلى حاجة الناس المتزايدة على المنتجات الحرفية سواء الضرورية أو حتى الكمالية.

لقد أعطت الحرف والصنائع طبعة مميزة للنشاط الحرفي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط الذي ساهم في ازدهار الجانب الإقتصادي من الدرجة الأولى من خلال تنوع المنتجات الحرفية والحرف بحد ذاتها، ونظرا لتحقيق الإكتفاء الذاتي نشطت الحركة التجارية بين حواضر المغرب الأوسط الكبرى ودول الجوار أيضا، التي تولدت عنها علاقات دبلوماسية، وكذا ساهم في ازدهار الجانب الإجتماعي والعمراني، فالحرفيون كان لهم دور فعال في بناء التكافل الإجتماعي وخلق ألفة بين أبناء البلد

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- 01- ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.
- 02- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1999.
- 03- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج7، دار الكتب العلمية، تونس، 2001.
- 04- ابن مريم الشريف المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1908.
- 05- أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية، الجزائر، 1910.
- 06- أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- 07- إسماعيل ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، تح: هاني سلامة، بورسعيد- الظاهر، 2001.
- 08- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تر: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، وهران، 1900، ج1.
- 09- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 10- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط (9هـ-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 11- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
- 12- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة 2004.
- 13- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1970.
- 14- خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55هـ-633هـ \ 675م - 1235م)، ط1، دار الأملية، الجزائر، 2011.
- 15- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مح1.

قائمة المصادر والمراجع

- 16- عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2000
- 17- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- 18- مارمول كرنخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1989.
- 19- مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، (د ط)، (د د)، الجزائر، 1986، ص422.
- 20- مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، العراق.
- 21- محمد العبدري البنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.
- 22- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود أغا بوعبيد، (د ط)، موفم للنشر، الجزائر، 2011.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2.
- 23- الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 24- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (د ط) مطبعة بيبير فونطانا الشرفية، الجزائر، 1903.

المراجع:

- 01- إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 02- البروسوي محمد بن علي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط1، تر: المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، 2006.
- 03- بشير إبراهيم دعيس، الصناعات التقليدية والجذب السياحي في البحر المتوسط، دراسات وبحوث في التروبولوجيا الاقتصادية، ط1، دار البيطار، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

- 04- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 05- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3.
- 06- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، الجزائر، 2005، ص96.
- 07- عبد الرؤوف عصام، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990.
- 08- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، (دط)، دار موفم، الجزائر، 2002.
- 09- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
- 10- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
- 11- يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، (د ط)، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985.
- 12- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيط، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- 13- يسرى الجوهري، شمال إفريقية، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م)، (د ت)، ص261.

القواميس والمعاجم:

- 01- أحمد الشرباصي، المعجم الإقتصادي الإسلامي، (د ط)، دار الجيل، (د م)، 1981.
- 02- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979.
- 03- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة وزارة التربية والتعليم، مصر، 1989.
- 04- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، 2004.
- 05- محمد عمارة، قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993.

المجلات:

- 01- بشير إبراهيم دعيس، الصناعات التقليدية والجذب السياحي في البحر المتوسط، دراسات وبحوث في التروبولوجيا الاقتصادية، ط1، دار البيطار.
- 02- بعلي محمد، بوركبة محمد، السياسة الإقطاعية في الدولة الزيانية (633-962هـ)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 17، العدد2، جوان2021.

- 03- بلال ولد العربي، قدور وهراني، مراتب وتقاليد نظام الحكم السياسي والديني في العهد الزياني (633-962هـ/1253-1554م)، الحوار المتوسطي، المجلد الحادي عشر، العدد1، مارس2020.
- 04- بن حاج ميلود، دول البربر في تاريخ المغرب والأندلس من ظهور الدولة الزيرية إلى سقوط دولة المرابطين (362-541هـ)، مجلة العلوم القانونية والإجتماعية، جامعة زيان عاشور بالجلفة-الجزائر، المجلد الخامس، العدد الرابع/ ديسمبر2020.
- 05- بن ساحة عبد الله، تاريخ تلمسان الثقافي من خلال علماء وشعراء الفترة الزيانية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد05، العدد1، يناير2022.
- 06- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 07- حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، عصور الجديدة، العدد2-عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- 08- خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845هـ)، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، جوان2009.
- 09- رشيد خالدي، صناعة النسيج في تلمسان الزيانية (633-962هـ)، مجلة الإنسان والمجتمع، المجلد09، العدد18-ماي2021، جامعة باجي مختار، عنابة، 2021.
- 10- رفيق شلابي، الحرف والصناعات في مدينة تلمسان وضواحيها خلال العهد العثماني، المجلة العربية للدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مجلد13، عدد1، جانفي2021.
- 11- سامي سلطان، الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية، مجلة سيرتا، العدد10، أبريل1988.
- 12- صديقي بلقاسم، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب 15-17م الدوافع والمراحل، المجلة المغربية للمخطوطات، العدد5، جوان2017.
- 13- طاهري أحمد، الأزمات الاقتصادية وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1236-1556م)، مجلة عصور الجديدة- فصيلة مصنفة "ج"، المجلد10، العدد3، سبتمبر2020.
- 14- عبد العزيز قيبوج، الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ)، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، المجلد3، العدد2، 2019.
- 15- عبد القادر نوري دريد، ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن5هـ/11م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد21، الكويت.

- 16- عبد الكريم حسائني، الحياة الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (7-8 هـ)، مجلة كان التاريخية، العدد17، القاهرة، مصر، 2012.
- 17- عبد المالك بكاي، العمل الزراعي في أرياف الغرب الإسلامي خلال نهاية العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد04، سبتمبر2017.
- 18- عبدلي زبيدة، قبيلة مغراوة الزناتية في ظل الصراع بين الأمويين بالأندلس وبني زيري الصنهاجيين حلفاء الفاطميين ببلاد المغرب (361-391هـ)، مجلة عصور الجديدة -فصيلة مصنفة، ج، المجلد11، العدد2، جوان، 2021.
- 19- عبدلي زبيدة، هيصام موسى، موقف زيري بن مناد من ثورة أبي يزيد الخارجي وانعكاساته السياسية على قبيلة صنهاجة (331-336هـ)، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد13، العدد1، جانفي2021.
- 20- غرداوي نور الدين، الإستراتيجية العسكرية لعثمان بن يغمراسن بن زيان في مواجهة الخطر المريني (المغربي) (681-703\هـ\1282-1303م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثاني، العدد الرابع، جويلية2020.
- 21- غرداوي نور الدين، التحديات الأمنية للمغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633-962هـ)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جويلية 2019.
- 22- فاتح مزردى، أضواء على المكانة الحضارية لتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة خصور الجديدة-مجلة محكمة صنف ج، المجلد10، العدد1، مارس2020.
- 23- فاتح مزردى، مظاهر العلاقات السياسية مع الأندلس والغرب المسيحي، مجلة دراسات وأبحاث، المجة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019م.
- 24- فاطمة الزهراء شلية، أسواق مدينة بجاية في العصر الوسيط (460-915هـ)، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد16، العدد01، 2020.
- 25- سهام دحماني، مشكلة الضرائب في عهد السلطان الزياني ابي تاشفين الأول (718-737هـ\ 1318-1337م)، مجلة دراسات، العدد الثالث، ديسمبر 2015.
- 26- فؤاد طوهارة، المجتمع والإقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني، دراسات تاريخية، العدد16، حزيران، 2014، جامعة 08 ماي 45 قالمة، الجزائر.

- 27- قدور منصورية، الإسهامات الحضارية لعلماء تلمسان حاضرة بني زيان علماء أسرة ابن عبد النور نموذجاً، مجلة مجتمع تربية العمل، المجلد7، العدد1، 2022.
- 28- قربان عبد الجليل، الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني (633-962هـ)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد13، ديسمبر، 2017، ص370.
- 29- لخضر العربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد04، جوان2013
- 30- لطيفة بشاري بن عميرة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان، تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن (7-10هـ\13-16م)، أفكار وآفاق، العدد03، جانفي2012.
- 31- لطيفة بشاري، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد، مجلة عصور الجديدة، العدد7-8، مختبر البحث التاريخي، جامعة الجزائر2، بوزريعة.
- الرسائل الجامعية:**
- 01- إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والإقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة (7-10هـ\13-16م)، أطروحة دكتوراه، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2014/2013، ص 318.
- 02- أسماء خلوط، الموانئ ودورها في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس من القرن 3 إلى 6 هـ، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة ابن خلدون-تيارت، الجزائر، 2021.
- 03- بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحت إشراف عبد العزيز فيلاي، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.
- 04- بسام كامل عبد الرزاق شققدان، تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002.
- 05- جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ، الجامعة الأردنية، 1994.
- 06- جيلالي هناني، نظام الري بالدولة الزيانية من القرن (7-10هـ)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2021.

- 07- حسيبة عمروش، انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني(633-962هـ)، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر، 2018.
- 08- رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ\13-15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016.
- 09- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001.
- 10- العربي لخضر، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633-962هـ)، أطروحة مقمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ وسيط إسلامي، جامعة وهران، الجزائر، 2018.
- 11- علي شبيطة، الصناعات التقليدية الفنية في الجزائر، أطروحة دكتوراه، تخصص علم اجتماع، جامعة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015.
- 12- لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633/962هـ)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ وسيط إسلامي، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، 2018.
- 13- محمد حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الوسيط، جامعة مرقونة، الرباط، 1988.
- 14- نوارة شرقي، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي عهد الموحدين، أطروحة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب العربي، جامعة الجزائر، 2008 .
- 15- هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2018.

المراجع الأجنبية:

01-Atallah Dhina , le royaume abdelouadide A l'époque D'abou Hammou Moussa 1er ET D'abou Tachfin 1er office des publications universitaires-Alger1985 ,p 165

02-Fatima Zohra Bouzina Oufriha, La vie économique au temps du Royaume Zeiyyanide, ENAG éditions.Alger .2017 , p 154

Robert Brunschvig, Deux Récit de Voyage inédites en Afrique du Nord aux XV Siècles Abdelbasit B-halil Et Adorme- Larose Editeurs- Paris 1936, p46

03-Atallah Dhina, Les états de l'occident Musulmans aux XIII XIV et XVe siècle, Office des Publications Universitaires- Alger1984, p354.

الملاحق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم (01): صورة تبرز زربية تلمسان (1)



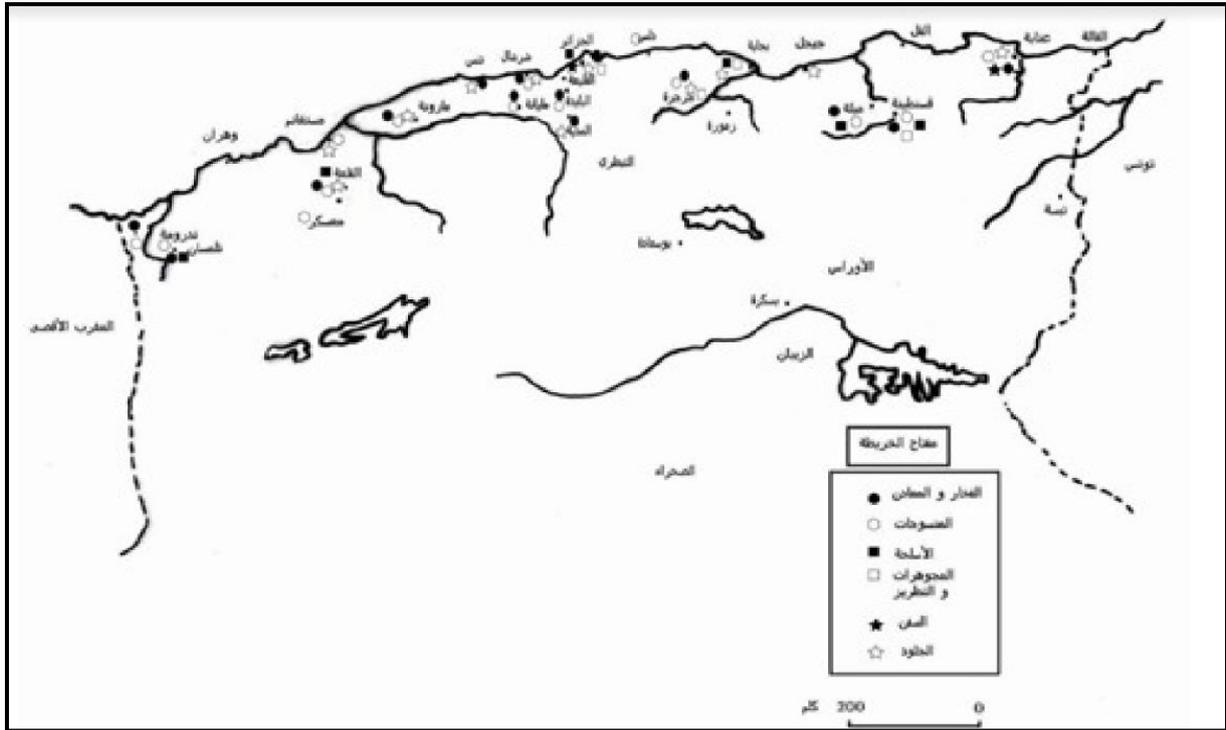
¹ - شبيطة علي، المرجع السابق

الملحق رقم (02): صورة تبرز أحد نماذج الصناعة الفخارية (1)



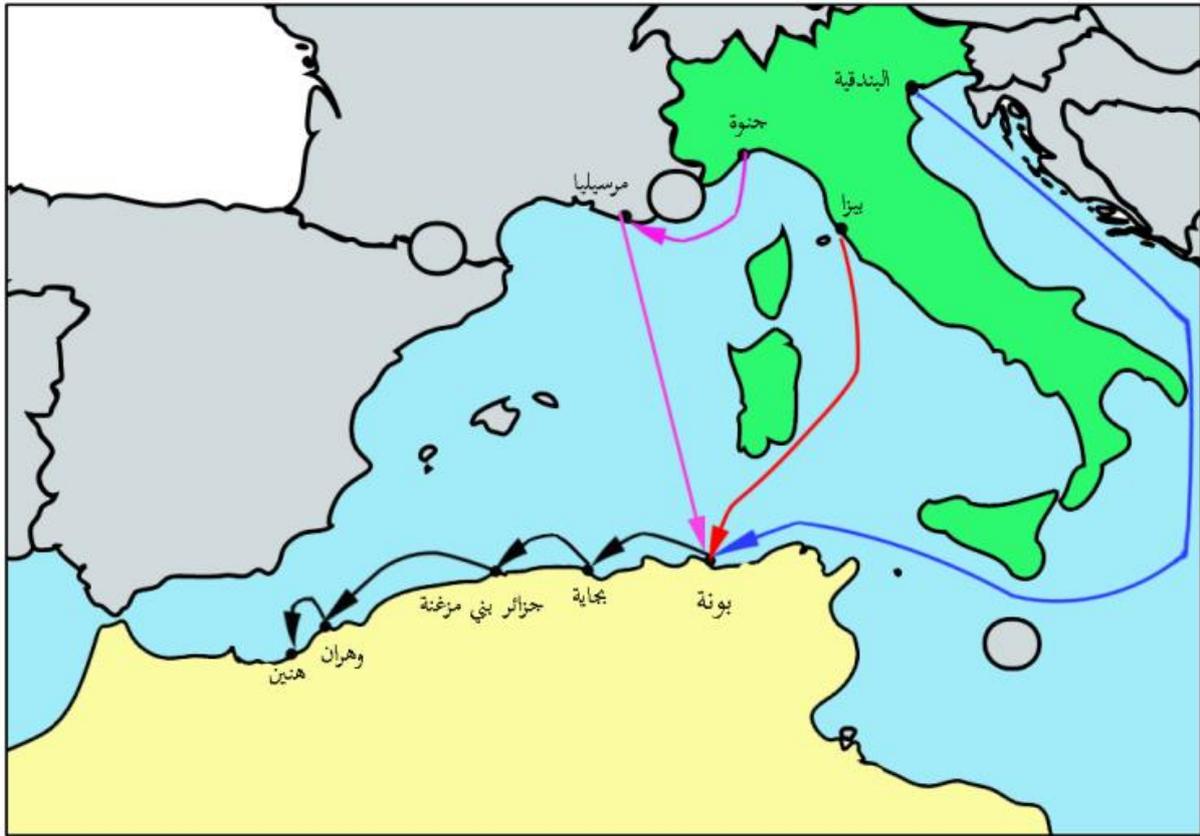
1 - شبيطة علي، المرجع السابق.

الملحق رقم (03): خريطة توضح أهم الصناعات في مدن المغرب الأوسط (1)



¹ - ديفل سميحة، أهم المراكز الصناعية في المغرب الأوسط

الملحق رقم (04): خريطة تبرز اتصال الجمهوريات الإيطالية بأشهر المدن الساحلية في المغرب الأوسط (1)



¹ - الهدون حامدي، المرجع السابق

الفهرس

الفهرس

.....	شكر وتقدير
.....	إهداء
.....	قائمة المختصرات:
أ	مقدمة:
ب	أهمية الدراسة:
ب	أسباب إختيار موضوع الدراسة:
Erreur ! Signet non défini.	أهداف الدراسة:
ب	الدراسات السابقة:
ج	إشكالية الدراسة:
Erreur ! Signet non défini.	تساؤلات الدراسة:
ج	منهج الدراسة
ج	هيكل الدراسة:
د	صعوبات الدراسة:
ه	التعريف بالمصادر والمراجع:

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن قيام الدولة الزَيَانِيَّة

14.....	المبحث الأول: الأوضاع السياسية للدولة الزيانية :
14	1. التعريف بالدولة:
17	2. المراحل التاريخية للدولة الزيانية:
24	3. نظام الحكم:
26.....	المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية للدولة الزيانية:
26	1. النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط:
29	2. عوامل قيام الثروة الطبيعية في المغرب الأوسط:
31.....	المبحث الثالث: الأوضاع الإجتماعية للدولة الزيانية.
31	1. سكان الدولة الزيانية:

33	2. فئات المجتمع الزياني.....
34	3. الحياة الأدبية والفكرية:.....

الفصل الثاني: النشاط الحرفي في الدولة الزيانية

37	المبحث الأول: ماهية النشاط الحرفي.....
37	1. تعريف الحرفة:.....
39	2. الصناعة:.....
41	المبحث الثاني: مقومات النشاط الحرفي.....
41	1. المقومات الطبيعية:.....
44	2. المقومات البشرية:.....
45	المبحث الثالث: الحرف والصنائع في المغرب الأوسط في العهد الزياني:.....
45	1. الحرف والصنائع في المغرب الأوسط:.....
59	2. صنائع أخرى:(الصورة 03).....
64	المبحث الرابع: التنظيمات الحرفية ونظم الحكم في النشاط الحرفي في المغرب الأوسط:.....
64	1. الطوائف الحرفية:.....
65	2. الحسبة:.....

الفصل الثالث: تأثيرات الحرف والصناعات في الدولة الزيانية

68	المبحث الأول: التأثيرات السياسية:.....
68	1. العلاقات مع دول العالم الإسلامي:.....
73	2. العلاقات السياسية مع جنوب السودان الغربي:.....
75	3. العلاقات السياسية مع الممالك المسيحية:.....
80	المبحث الثاني: التأثيرات الاقتصادية:.....
80	1. الدور المالي للحرف والصنائع:.....
83	2. الدور التجاري الحرف:.....
86	ب-العوامل السلبية:.....

873. الأسواق:
90المبحث الثالث: التأثيرات الاجتماعية:
901. العلم:
912. السكن:
933. الملابس:
94المبحث الرابع: التأثيرات العمرانية:
951. المسجد الكبير:
972. جامع سيدي أبي مدين (مسجد سيدي بومدين):
983. المشور:
101خاتمة
103قائمة المصادر والمراجع:
111قائمة الملاحق:
119الملخص:

الملخص:

بحثت هذه الدراسة الموسومة ب "النشاط الحرفي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط (الدولة الزيانية نموذجاً)" أنواع الحرف والصنائع في المغرب الأوسط، ودورها في تقوية مختلف جوانب الحياة، وإشاعة الرخاء والاستقرار بين أفراد المجتمع.

كانت التنظيمات الحرفية أحد العناصر الفاعلة في الجانب المتعلق بالأنشطة الحرفية وتمركزها داخل النسيج الحضري، بالنظر إلى ما كانت تتوفر عليه من قواعد وأسس للمجال الحرفي بتلمسان الزيانية، كان من الممكن أن لا تظهر مكتسباته لولا تلك الثقة والعلاقة التي كان أحد أطرافها الصناع وطرفها الثاني الأفراد.

يظهر أن المجال الحرفي بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط كان يشكل لوحده مجتمعا قائما بذاته، بدليل أن جميع مكوناته وعناصره الرئيسية احتوتها التنظيمات الحرفية التي يعود لها الفضل في تنظيم وتأطير العمل الحرفي من الداخل والذي كان بدوره يخضع لنظم وأعراف كان على الحرفي التقيد بها.

كان لتعدد الأنشطة الحرفية بالمغرب الأوسط أثرا مهما في الإزدهار الذي عرفته الدولة الزيانية، إذ أسهم الحرفيون والصناع بقدر لا بأس به في الحياة الإقتصادية والإجتماعية، كما عاد اجتهادهم وتفانيهم في العمل بالمنفعة العامة على السكان.

الكلمات المفتاحية: النشاط الحرفي - المغرب الأوسط - الحرف والصنائع - التنظيمات الحرفية - الدولة الزيانية.

Summary

This study, titled "Crafts Activity in the Middle Maghreb in the Middle Ages (The Zayani State as a Model)", examined the types of crafts and crafts in the Middle Maghreb, and their role in strengthening the various aspects of life, and spreading prosperity and stability among members of society.

The craft organizations were one of the active elements in the aspect related to craft activities and their centralization within the urban fabric, in view of the rules and foundations available to them for the craft field in Tlemcen Zaiania,

It had a possibility not have appeared had it not been for that trust and relationship in which one party was the makers and the other party was the individuals.

It appears that the craft field in the Middle Maghreb in the Middle Ages constituted a self-contained society by itself, as evidenced by the fact that all its main components and elements were contained in craft organizations that are credited with organizing and framing craft work from within, which in turn was subject to regulations and customs that the craftsman had to abide by.

The multiplicity of craft activities in the Middle Maghreb had an important impact on the prosperity that the Zayani state experienced, as artisans and craftsmen contributed a fair amount to economic and social life, and their diligence and dedication to work returned to the general benefit of the population.

The key words: Craft Activity - Central Maghreb - Crafts and Workmanships - Craft Organizations - Zayani State.